الموسوعة الصغيرة

٨

الطب عند العرب

د. عبد اللطيف البدري

الموسوعة الصغيرة

(٨)

الطبّ عند العربّ

د . عبد اللطيف البدري

منشورات وزارة الثقافة والفنون

١٩٧٨ الجمهورية العراقية

الفصل الاول

طب وادي الرافدين

لم يكن من السهل في السابق تحديد البداية في تاريخ الطب عند العرب فلقد كان البعض يظن انها لا تتعدى الفترة الواقعة قبل الاسلام الا بقليل والبحث فيما قبل ذلك يبقى مفتقرا للاثبات ولا يخرج عن دائرة الحدس والاستنتاج .

غير ان الذي وصل الينا عن حضارة سكان وادي الرافدين القدماء فتح افقا جديدا لموضوع الطب عند العرب . فهؤلاء شعوب عربية ولها في ممارسة الطب باع طويلة . فهم عرب لان لغتهم عربية بمفرداتها ونحوها وصرفها وما بها من خلاف عن لغة السبئيين لا يتعدى الخلاف الموجود بين لهجات مختلف القبائل . وهم عرب لثبوت نزوحهم من الجزيرة العربية في العصور القديمة واستيطانهم هذا الجزء الخصب من الارض بعد ان اجدبت الجزيرة وصعب العيش فيها .

ان الذي وصل الينا من مدونات عن حضارة هذه الشعوب العربية بصورة عامة والطب بصورة خاصة يدل على انهم كانوا رواد حضارة ليس في هذا الجزء من العالم فحسب بل لربما في العالم كله .

لا تعتمد معلوماتنا في طب وادي الرافدين على ما اكتشف من نوحات طبية فقط ، فان شيئا غير قليل من اخبار الطب والاطباء ورد في مصادر اخرى كالادعية والتعاويذ ضد الامراض . والرسائل الخاصة والرسمية من الاطباء او اليهم حول ممارسة المهنة ، والنصوص القانونية التي تتعلق بثواب وعقاب الاطباء ، والاشارات العارضة في الاشعار والملاحم التي تتعلق بالمرض والشفاء والمفردات المعجمية لاسماء الامراض والعلاجات والنباتات الطبية عندما تذكر باكثر من لغة واحدة ، وكذلك ما كتبه العرافون عن التكهن المبني على التشوهات الخلقية في الوليد او على العلامات المرضية التي تظهر فيه بعد الولادة .

لقد وصم الطب في العراق القديم بانه طب التعاويذ والسحر والشعوذة ، غير ان قسما من الالواح الطبية التي وجدت كانت خالية من هذا تماما ولا تبحث الا في الامور المادية وفي هذا دفع لهذه التهمة كما ان الحقيقة المعروفة في الطب حاليا

وهي ان كل وسيلة ترفع نفسية المريض تنفع في تدبير مرضه تظهر ما للادعية والتعاويذ من اثر عندما تقرن بالعلاج المادي .

ولقد ورد في الرسائل الخاصة من الاطباء او اليهم ما يوضح بعض الجوانب عن مستوى الطب وادبه . ففي رسالة من طبيب اسمه (ارادنانا) كتبها الى الملك (اسرحدون) مثل على ما تكشف هذه الرسائل عن مستوى التطبيب وادب المخاطبة فلقد جاء فيها : (لقد اخبرت سيدي ان في رأسه وقدميه التهابا وسبب ذلك يرجع لمرض اسنانه التي يجب ان تخلع وعندها ستزول آلامه وتتحسن صحته) .

وفي رسالة اخرى عن طفل مولود من رعاف : ان المصابة كانت موضوعة بصورة خاطئة فلقد كانت مشدودة بقوة على الغضروف بينما يجب ان يحشى جانب واحد من الانف كي لا يضيق النفس ولكن يوقف الدم ، ان وافق سيدي الملك سأحضر غدا واشرف بنفسي على ذلك) .

اما ما جاء في النصوص التشريعية التي تتعلق بالطب والاطباء فانها تعكس صورة اخرى عن مستوى الطب ومسؤولية الممارسة ، وما النصوص الواردة في شرائع حمورابي الا مثل على ذلك .

والتكهنات المبنية على المظهر والعلامات والتشوهات الخلقية في الوليد قد سدت فراغا في معرفة

نوعية الامراض الوراثية والخلقية في ذلك الزمن فدراستها ومقارنتها بواقع حاضرنا يفيد كثيرا في تفهم تاثير العوامل البيئية والوراثية وتساعد على التفسير الحقيقي للتعابير التي تجيء عن الامراض في المصادر الاخرى .

نعود بعد ان ذكرنا مصادر معلوماتنا عن طب سكان العراق القديم وتاكيد عروبة اهله الى شيء من الاسهاب في وصف صورة الطب وممارسته في ذلك العهد لكي نتمكن من ادراك وربط مراحل تطور الطب عند هذا الشعب والشعوب التي ارتبطت به عن طريق المجاورة او المصالح .

ان اقدم مظهر للعناية بالصحة العامة هو ما وجد من مجاري للمياه القذرة في (كيش) يرجع تاريخها الى نحو ٣٠٠٠ سنة ق.م . وكذلك وجود حمامات ذات ارضية لا ينفذ فيها الماء ، ومجاري الى مستودعات خارج البيت تنظف على فترات . ووجدت في دور (اور) مراحيض يعود تاريخها الى ٢٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ سنة ق.م .

اما اقدم ما كتب في الطب فهي لوحة (نيبور) التي يعود تاريخها الى نهاية الالف الثالث قبل الميلاد ولهذه اللوحة اهمية بالغة ليس لقدمها فحسب بل لان ما ورد فيها من وصفات ومعالجات كانت خالية من

ذكر الارواح والسحر والتعاويذ ، معتمدة اعتمادا كليا على المادة في التطبيب وفي هذا دفع لنا العسق بطب وادي الرافدين القديم من انه بني على السحر والدجل .

وفي لوحة اخرى وجدت في (لكش) ذات تاريخ مقارب جاء ذكر للآلات الجراحية وطريقة استحضار بعض الادوية موقعة من طبيب اسمه (اورد كاليدينا) وقد يكون هذا اول اسم مسجل لطبيب .

وقد وجدت لوحات كثيرة لعل اهمها هو ما وجد في مكتبة آشور بانيبال الثاني التي عثر عليها في اطلال نينوى . لقد وجد في هذه المكتبة ٦٦٠ لوحة طبية تناولت مختلف الامراض باسبابها واعراضها ومعالجاتها . من هذه الالواح ومما سبقها يمكن اجمال تاريخ الطب في العراق القديم على الوجه التالي :

ليس فيما وصل الينا ما يدل على ان الطبيب العراقي القديم قد اجرى تشريح الجسم البشري لغرض التعلم ولكن فيما ثبت في الالواح دلالة على انه عرف الكثير من النواحي التشريحية من ملاحظة مظهر الجسم ومما كشفته جروح القتال خاصة الكبيرة منها ومن مقارنة المعلومات التشريحية في حيوانات القرابين مع شبيهاتها في جسد الانسان .

ونظرة شاملة لاسماء اعضاء الانسان تدل على

ان قدر المعرفة بالتشريح لم تكن بالقليلة . وكذلك المعلومات التشريحية التي يصفها (البارع) وهو من يقرأ الطالع على احشاء القرابين فانها تتصف بالدقة والملاحظة الماليتين فلقد جاء في بعض الاوصاف ان هناك القلب الايمن والقلب الايسر وان قمة القلب والقلب الايسر تقعان امام القلب الايمن . وجاء ذكر الكبد والمرارة بتفاصيل دقيقة ما زالت صحيحة لحيننا الحاضر فلقد جاء ذكر الوريد البابي للكبد وذكر الوريد الاجوف السفلي وسمي (الرابض) لبطء سير الدم فيه . وذكر بواب المعدة باسم (باب الاكل) مثلما ذكرت بقية الاحشاء والكثير من الشرايين والاوردة والاوتار والعضلات .

وفي الفسلجة كان الراي ان اجهزة الجسم تحكم بقوة عليا . ولعل القصد من ذلك ايضاح سيطرة الجبلة العصبية على اعضاء الجسم . وان الكبد اهم عضو في الجسد وانه مصدر تكوين الدم . لذا فقد اشاروا اختصاصا مستقلا في علم الكبد .

ان هذا الراي لا يمكن ان يؤخذ بالسطحية فالكبد عضو كبير الوظائف اذا عدت كلها فقد تكون اكثر من وظائف اي عضو آخر في الجسم ولا يبالغ في اهميتها كذلك لانها اهم واعقد الوظائف في الجسم . ومع ان الكبد لا يكوّن الدم الا في الادوار الجنينية الا انه غني بالدم وهذا تاكيد آخر لاهمية هذا العضو

وارتباطه عن طريق الدم ببقية اعضاء الجسم .

يفترض العراقيون القدماء ان كل مظاهر الحياة حقيقة ومادة لكل منها صفات واشكال مميزة فالمرض في وجوده كيان مادي ، والسهم الذي يطير والحجر الذي يسقط لا يؤثر الا لوجود نوع من الحيوية فيه . ولعلهم قصدوا ما نسميه الآن (بالطاقة) .

ويظن الطبيب الاشوري ان سبب الامراض اجسام غير منظورة تدخل الجسم مع الهواء او مع الاكل والشرب او مع الاوساخ عن طريق الجلد وهو تعليل سليم لما نصفه اليوم بالعدوى الجرثومية . اما قوله بان الارواح تسبب المرض ايضا وتلحق ضررا بالجسم فالغلب الظن انها اشارة للامراض النفسية والعقلية .

لقد دلل كارل سورهوف على ان الاشوريين كانوا يعتقدون ان الجذام معد وانهم اتخذوا الوسائل للوقاية منه . فالمادة ٢٧٨ من شرائع حمورابي تبطل عقد بيع العبد اذا ظهر به الجذام بعد شهر من بيعه .

وجاء في احدى اللوحات ما يشعر عن ادراكهم للعدوى فقد جاء النص على الوجه التالي : (عندما خرج الى الشارع مشى في المياه الوسخة الملقاة ،

وتقرب من امراة يداها غير نظيفتين ولمس بيده رجلا ذا جسم مريض) .

لقد ميز الطبيب الآشوري ان الحشرات تنقل الامراض فالطاعون (الموتان) كان من الامراض المنتشرة . وجاء في لوحات شلمانصر الرابع وآشور الثالث وآشور نيراري الخامس ان حكم كل منهم قد ضعف بسبب اوبئة الطاعون . ولعل ادراكهم لانتقال الطاعون بواسطة الحشرات جعلهم يمثلون الطاعون (الرجال) على هيئة حشرة .

اما عن الامراض النفسية فلقد ظن انها عقوبة لآثام يرتكبها الشخص او اهله او اهل بلده تؤدي لسحب حماية الرب عنهم فتنزل الارواح الشريرة عند ذلك الامراض بهم .

ومن الطريف ذكر مصدر اصل معتقد الاصابة بالعين فلقد كان السرافون القدماء يظنون ان الارواح الشريرة قد تسكن جسد انسان بريء . فاذا نظر هذا الى شخص آخر خرجت الارواح من عينه فآذت المقابل وامرضته ومن هنا جاء المعتقد ان الاصابة بالعين لا تستوجب سوء النية ممن يصيب فغالبا ما تكون من دون قصد .

حاول الطبيب الآشوري الاستعانة بالنجوم للتنبوء بالشفاء او التشخيص والمعالجة وحاول ان يتقصى الصلة بين الابراج الاثنى عشر وبين اعضاء

البدن المختلفة . ولكنه ادرك بعد فترة ان استرساله بهذا الطريق لم يعد عليه بفائدة عملية جلية فقلل من الاعتماد على الفلك في مهنته . وجرب سبيلا آخر في قراءة الطوالع وذلك من الكشف على اجواف واحشاء الثيران بعد ذبحها . ومع ان المحاولة في هذا السبيل لم تعد ايضا على الطب بنفع مباشر الا ان دراسة التشوهات الخلقية قدمت للطب خدمة كبيرة اذ تجمعت ذخيرة طبية عن وصف هذه التشوهات التشريحية اضافت الكثير الى معلوماتنا عن الطب في ذلك العهد واصبحت في واقعها بداية لدراسة التشريح المقارن .

لقد نظر الطبيب الآشوري الى العلوم السريرية نظرة ظلت صحيحة حتى اواسط هذا القرن فلقد صنف الامراض حسب مناطق الجسم التشريحية ، فهناك امراض الراس وامراض العين وامراض الاذن وامراض الفم وامراض الصدر وامراض البطن وامراض الاطراف ولكنه ايضا لم يغفل ذكر الامراض حسب اعراضها وهو تصنيف لايزال مقبولا لحد الآن فلقد ذكر اليرقان عند الكلام عن امراض الوجه وذكره ايضا في باب امراض العيون وفي الكلام عن امراض البطن .

وجاءت الكتابات الطبية بشكل يكاد يكون موحدا فالكاتب يبدأ بالاعراض ، كان يقول اذا

احمرت بين رجل وكثر فيها القذى .... ثم يعقب ذلك بالتشخيص فيقول انه مصاب بالتهاب العين . وقد يتبعه في بعض الحالات بذكر السبب كان يقول وسبب ذلك هو حر النهار ثم ينطرق الى ذكر العلاج فيذكر الوصفة ومكوناتها وكيفية تحضيرها وطريقة استعمالها . ويختتم الموضوع بذكر الانذار فيقول انه سوف يشفى او ان المرض سيزمن او ان المصاب سيموت .

ان الطب عند قدماء وادي الرافدين يعلم بطريقة لا تختلف عن طريقة التعليم في وقتنا الحاضر الا قليلا . فلقد كانت الدراسة الطبية تبدأ في بيت الالواح وهو اشبه ما يكون بالمكتبة كتبت المادة الطبية فيها على الواح طينية واودعت مصنفة في مخازن المكتبة . على الطالب ان يدرسها كاملة ثم ينتقل بعد ذلك الى تعلم كتابة الوصفات . فاذا انتهى من هذه — أتحقق بآس خبير يتعلم منه الجانب السريري من المهنة ولا يسمح له بالممارسة الا بعد ان يوصي به مدربه وبعد ان يؤدي القسم امام الآلهة وبعلن ولاءه للملك .

تختلف الدراسات الطبية بحسب الاختصاص، فالاطباء ثلاثة اصناف :

١ — **الكاشف** : وهو الخبير بتشخيص المرض والاخبار عما ستؤول اليه حالة المريض .

وهو الذي يستدعى اولا لزيارة المريض . يستعين الكاشف بامور روحانية وبيتية وسريرية في التشخيص والانذار اذ يربط بين ما يعن له من خواطر وما تقع عينه او ما تسمعه اذناه ويقرن ذلك بلون بشرة المريض وهيئة استلقائه في فراشه وبمن حوله من الناس واي امر اخر يتوافق حدوثه مع وجود الكاشف مثل مرور طائر او صرير الباب — وغيرهما . ثم يلمس المريض للتعرف على رطوبة جلده او وجود الحمى عنده وقد ينظر الى بطنه واطرافه حسب ما يقتضي ثم يصدر حكمه في التشخيص واحتمال شفاء المريض او عكس ذلك ويترك المعالجة المتبقية للآسي عدا ادعية ورقى يقوم بادائها هو اذا اقتضى الامر .

٢ — **الآسي** : وهو المهتم بالجزء المادي من الطب فهو الذي يصف الدواء ويحضره وينصح بكيفية استعماله ويوصي بنوعية الطعام للمريض ، وقد ينصح باجراء المداخلة الجراحية عندما يرى ذلك لزاما .

٣ — **الجراح** : وهو الصنف الذي لم تذكره النصوص الطبية صراحة الا في النادر غير ان الكتابات الاخرى كالشرائع والاحكام والملاحم والعقود قد ذكرت ما يكفي لاعطاء صورة واضحة عنه . فالجراحة لابد وان تكون شائعة آنذاك لكي

تتطرق لها التشريعات . فقوانين حمورابي مثلا ذكرت الجراح بنصوص يفوق عددها النصوص التي تناولت الطبيب . ففي المادة (٢٢٠) ذكرت احكام اجراء عملية على عين مريض والمادة (٢١٥) حول بط الخراج والمادة (٢١٨) عن صنع جرح كبير في جسم الرجل او خياطته ... وغيرها . بينما تناولت الطبيب الذي يعالج بالادوية بنصوص اقل عددا . وقد ورد في الرسائل المتبادلة بين مختلف الناس وفي الفحص والملاحم ذكر لعمليات قدح العين واستئصال الظفيرة وعمليات خراجات الاذن وحشو الانف للرعاف وتضريفه الدبيلة وبط خراج الكلية ودفع حصاة المثانة وتوسيع تضيق الاحليل بالموسعات وكذلك فيما يتعلق بالكسور فقد حذقوا في تثبيتها وعلاجها .

ان اكتشاف الات جراحية من العهد السومري على لفائف الفرات يدل على ان الجراحة كانت ممارسة من قديم الزمن . ولكن قلة الكتابة عنها في النصوص الطبية يعزى اما الى عدم اكتشاف مخطوطاتها لحينا الحاضر او الى التكتم في الكتابة فيها انذاك خشية العقوبات الصارمة لمن يخفق في صناعته ويؤدي الى الاضرار بالمريض .

اما عن الامراض النسائية والولادة فقد ورد في النصوص وصف للولادة الطبيعية والولادة العسرة،

وصف لحالات النزف الشديد الذي يصحب الولادة ويؤدي الى الموت . ولحالات يستدل منها على انها سقوط الرحم . وقد ورد في احد العقود ذكر لوليد انتزع من الرحم بعد موت الام المفاجيء وهو ما يحتمل تفسيرين اما شق الرحم واستخراج الجنين حيا او اجراء الولادة بالملقط او ما يشابهها وفي كلا الاحتمالين اشارة الى تقدم مستوى الطب آنذاك .

كانت المكانة الاجتماعية للطبيب في العراق القديم مميزة فهناك ما يدل على ان للطب ادبا خاصا وللطبيب مكانة مرموقة . فقد كان على الطبيب ان يكون حليقا نظيفا حسن اللباس يدل مظهره على الاحترام . يعلن عند دخوله البيت انه مستعين (بابا) و (مردوخ) على الشفاء . يحمل في زياراته حقيبة فيها من الاعشاب والادوية ما يحتاج اليه في مداواة المرضى وان تكون تلك الحقيبة حاوية بعض الالات الجراحية وبعض اللفائف والعصابات .

تمتع الطبيب العراقي القديم بمكانة خاصة عند الملوك وبين الناس وكان ارسال طبيب الى ملك صديق أمرا يستحق التسجيل بالوائح . فلقد جاء في احداها ان الملك (توشراتا) ملك (ميتاني) ارسل للفرعون (امينوفيس الثالث) تمثال عشتار ومعه طبيب لكي يعالجه من مرض الم به وفي اخرى ان

امورنالبش) ملك الحيثيين كان يشكو من فاقة عصبية السبب ، تعذبه كثيرا حتى في احلامه وكان له طبيب مصري لم ينجح في معالجته الى ان ارسل له الملك البابلي (ناظم الروتاشي) طبيبا من بابل طلبا في تقوية اواصر الصداقة معه ، وكان هذا الطبيب انجح في معالجته من زميله السابق . وفي تقريره الطبيب الاشوري يخاطب مليكه ويذكر له ان الحبه التي فيه ستدوم سنة واحدة ثم تشفى (حبه بغداد) ويطلب من الملك الصبر والاطمئنان .

ومن الطريف ان يذكر شيء عن الحية باعتبارها رمزا للشفاء . فلقد كان المظنون ان هذا الثعبان من وحي (اسقلابيوس) الاغريقي ، ولكن في متحف اللوفر في باريس منحوتة وجدت في (لكش) يعود عهدها الى ٣٠٠٠ سنة ق.م مزينة بدورق فيه صورة ثعبانين ملتفتين على بعضهما يقف خلفهما رجل يدعى امير لكش ومكتوب عليها انها مهداة الى (نينكيتي ريدا) مع الشفاء وفي ملحمة (كلكامش ما يؤيد كون الحية رمزا للشفاء عندما شاء الالهة ان يموت رفيق كلكامش ، ذهب الاخير باحثا عن الاعشاب التي تعيد الحياة لصديقه فلما وصل الى بحر الازل غاص في اعماقه ووجد تلك الاعشاب التي تحيي الموتى فاخذها وقفل راجعا الى اوروك ، وفي الطريق اضطر للاستحمام في بحيرة باردة من شدة

الحر بعد ما ترك الاعشاب وملابسه على الصخور ليعود ويجد ان حية قد اكلت تلك الاعشاب التي ألقت عليها بسرعة فنزعت الحية توبها وعادت فتية من جديد . ومنذ ذلك التاريخ والحية تعيد نزع توبها لتجدد شبابها) .

لا يتم وصف الطب الا بالتطرق الى الادوية التي كان الطبيب العراقي القديم يستعملها . فلقد ورد في لوحات مكتبة آشور بانيبال الطبية اسم لـ (٢٥٠) نوعا من النبات يستعمل في الطب و (٩٢٠) مادة معدنية و (١٨٠) مادة متفرقة تستعمل لنفس الغاية . وكذلك ذكرت البيرة والنبيذ والشحوم والزيوت والشمع والعسل كثيرا . وقد صنف الطبيب آنذاك هذه الاعشاب الى السامة وذكر الستافلق والنوكران والبنج والقنب والخشخاش وعرف خصائصها منومة ، ومسكنة ، ومخدرة . وعرف ما هو ضد التشنجات والمقص وما هو شديد التاثير على الوعي والادراك . وصنف الاعشاب السهلة كالصبر والخروع والخربق والسوس .

ولعل ابرز ما امتاز به الطب الاشوري في المعالجة هو تعدد الوصفات البدائل اذ يكتب وصفة لمرض ويتلوها بثانية وثالثة وقد يصل العدد الى اكثر من عشر وصفات لتستعمل واحدة عند فشل

الاخرى في الحصول على الشفاء . ومن الميزات الاقرباذينية في ذلك الوقت تحضير الدواء على اشكال مختلفة كالمحاليل والعصارات والمنقوعات والملقات واحيانا اللوقات والسفوفات . ولم يفته عمل الادوية للاستعمال الخارجي بشكل الفسول والدهون والمراهم والساحيق والمباتخ والضمادات كما صنع قسم من الادوية للتماطي على شكل لبوسات وفرازج وحقن .

بعد هذه النظرة الشاملة عن الطب في وادي الرافدين قديما نعود لنلقي نظرة على الطب في حضارات ذلك العهد لنتبين الريادة ، ومقدار الاقتباس والتبادل بين مختلف امهما .

من المؤكد ان الطب في وادي الرافدين قد اثر في طب البلاد المجاورة والمتصلة بالطرق التجارية الواقعة تحت الفتوحات . ومثلما اثر لابد ان تاثر ايضا .

فمن الحضارات المزدهرة في تلك العهود حضارة وادي النيل وكان لها اتصال بحضارة وادي الرافدين دلت عليه آثار كلا الجانبين . وقد كان اقدم من ذكر عن الطب في مصر هو (امحوتب) الذي كان مهندسا ومنجما وطبيبا ومخلصا للفرعون عاش هذا الرجل سنة ٢٩٨٠ ــ ٢٩٠٠ ق.م . في فترة ازدهرت فيها حضارة مصر ووصل الطب الى

مستوى مرموق . ان امحوتب اقدم اسم لطبيب في تاريخ الفراعنة يقابل (اوردكاليدينا) في تاريخ طب وادي الرافدين الذي عاش في نهاية الالف الثالث قبل الميلاد في وقت ازدهر الطب فيه ايضا .

وورد في تاريخ البابليين فتوحاتهم لمصر العليا مثلما ورد ذكر وصول فتوحات الفراعنة الى وادي الرافدين .

ان بردية ادون سميت في الجراحة التي يعود عهدها الى ١٦٦٠ ق.م . وبردية ايبرس في الطب التي يعود عهدها الى ١٥٨٠ ق.م . ثم ان القسم من بردية كاهون الذي يبحث في النسائيات ، تقابلها في وادي الرافدين لوحة (الكش) ولوحة (نيبو) اللتان يرجع عهدهما الى نهاية الالف الثالث قبل الميلاد ، والنصوص الطبية في قوانين حمورابي التي سنت في اوائل الالف الثالث كل هذه الحقائق تدل على ان الحضارتين قد انشاتا وازدهرتا في عصور متقاربة .

اما انهما تاثرا ببعضهما فذلك امر متوقع بحكم الاتصالات التي جرت بينهما آنذاك . فلقد ورد في تاريخ البابليين ان فتوحاتهم وصلت الى مصر العليا وانهم اسروا من المصريين وجاءوا بهم الى بابل ، ومثلما جاء في تاريخ الفراعنة ففي قسم من منحوتاتهم صور للاسرى البابليين يساقون الى الفرعون ومعهم الغنائم .

وعلى المستوى الطبي تبودلت الهدايا وارسل الاطباء من جانب الى اخر تعبيرا عن الود وتقربا لبعض عن طريق حفظ الصحة . لكن ما كتب في الطب في كل من البلدين حافظ على طابعه واسلوبه .

وعن تاثير وتاثر طب الرافدين بالطب في جزيرة العرب فمن المؤسف لا يتوفر من الحقائق التاريخية الكافية لتوضيح ذلك ولكن الكشف الواردة في تواريخ الامم المجاورة للجزيرة والقليل مما وجد في بلاد اليمن يدل على وجود بعض الروابط بين حضارات الجزيرة والبلاد المحيطة بها .

فلقد ورد في الكتابات السومرية ذكر (دلمون) وهي ما تسمى الان بالبحرين وعن العلاقات معها . وجاء في تخليد تاريخ سرجون الاكدي ذكر دلمون ايضا و (مجان) وهي عمان حاليا . وكذلك ورد فيما كتب عن انزام سن الفاتح حفيد سرجون الاكدي انه جلب النحاس من مجان وكذلك حجر الديوريت للتماثيل . ان مجان كانت جميلة خضراء وبها ينابيع غزيرة في غاية الروعة . وجاء في تاريخ اسرحدون ايضا انه تتبع الجزيرة ووصل (حاسو) الاحساء حاليا و (باسو) نجد .

من المستبعد ان تكون حضارة وادي الرافدين وبالتالي الطب فيها قد تاثرا في الادوار الاولى بحضارة الفرس وطبهم نظرا لازدهار الاخير في عصور متاخرة . فدارا الذي درب الاطباء كان في

عصر اسرة الكيانيين (الاخمينيين) حوالي ٧٠٠ق.م. لذا فالغالب ان يكون الطب الفارسي هو الذي تاثر واقتبس من طب وادي الرافدين القديم .

لقد نشات في الهند حضارات قديمة وبرز في الطب اشخاص تركوا تراثا كبيرا مثل تركه (كنكه) وسشرتا وفاجبساتا . ولكن عهد اقدمهم لا يتعدى القرن الثالث قبل الميلاد . ولو ان هذا التاريخ غير مؤكد بسبب صعوبة التحقق من التواريخ الهندية لاغفال ذكرها فيما ورد من تراثهم القديم وكل ما يدل عليها هو ما ورد ذكره في تراث الامم المجاورة والمعاصرة . من هذا المنطلق لتحديد تاريخ ازدهار الحضارة الهندية لا يتوقع تاثيرها في حضارة وادي الرافدين القديمة نظرا لمجيئها في وقت متاخر شان حضارة الفرس .

اما في الصين فالحضارة عريقة شان ما في مصر والعراق . وتاريخ العلم والطب الصيني يرجع الى الالف الثالث قبل الميلاد . فلقد ورد اسم (يو) حاكم احدى الامارات الخمس العظيمة (٢٢٠٥ — ٢١٩٨) ق.م في كونه ادخل العلوم والفنون في دولته والف بنفسه رسائل علمية متعددة . غير ان البعد الجغرافي للصين عن وادي الرافدين يجعل من المستبعد نشوء علاقة حضارة بينهما . وليس فيما اكتشف من اثار في كلا البلدين ما يستدل منه على غير هذا الافتراض .

ان ما يصح عن الحضارة والطب في الهند وفارس يصح ايضا على الاغريق فالعصر الكلاسيكي او عصر بريكليس لا يتجاوز بداية القرن الخامس قبل الميلاد لذا فمن المؤكد ان يكون الاغريق هم الذين قد اقتبسوا من حضارة وادي الرافدين القديمة وطبها شيئا غير قليل ، عاد اكثره الينا في اوقات متاخرة على انه علم وطب اغريقي فنسي الاصل . ولعل من الطريف ان تذكر الكلمات التالية التي وردت في كتاب النباتات الطبية الآشورية للسيد ريجنالد توميسون مقابل لفظها الاغريقي

اللفظة اليونانية	بالحرف العربي	الكلمة الآشورية
Myrrha	المرة	Murra
Termis	الترمس	Tarmus
Azarolus	العرزال (البلوط)	Arzalhu
Cureumn longa	الكركم	Kurkanu
Sesamum	السمسم	Samassamu
Cuminum	الكمون	Kamunu
Saffaron	الزعفران	Asupirann
Amber	العنبر	Anbar
Carob	الخروب	Marubu
Cherry	الكرز	Karru
Cotton	القطن	Kitu
Lard	اللور	Lardu

ان الغاية من النظرة الخاطفة في تاريخ الطب عند قدماء سكان وادي الرافدين هو اثبات عروبة واصالة طبهم . اعتمادا على ما ورد في الالواح الطينيه التي خلفوها في الطب وفي بقية فروع المعرفة عندما يذكر فيها الطب .

صحيح ان التراث يصان بالتدوين غالبا ، لكنه يصان بالنقل الشفاهي والممارسة ايضا وهذا ما حدث في الطب فان صح ان اقدم ما عندنا في الطب العربي كان في وادي الرافدين فلا شك في ان ما يمارس من طب شعبي عند العراقيين حاليا غني بما توارثته الاجيال من الطب القديم يؤيد ذلك وجود بعض الآراء في اسباب الامراض وطرق معالجتها في الطب الشعبي حاليا ، هي نفسها التي قالها ومارسها طبيب وادي الرافدين في الزمن القديم . فلا زال مثلا من يظن ان الم الاسنان المتسوسة عن ديدان صغيرة تسكن فجوة السن تنخر فيه فتولد الالم وان معالجتها تتم بتبخير الفم بما يتصاعد من حرق بعض الاعشاب خلال قمع خزفي فوق اناء مملوء بالماء لتسهيل مشاهدة الديدان المتساقطة . ان هذه الفكرة نفسها وردت من دون اختلاف يذكر في احدى اللوحات الطبية لمكتبة آشور بانيبال الثاني في نينوى كتبت قبل حوالي ٢٦٥٠ سنة .

كذلك يوجد الان من يعالج الجروح والقروح المزمنة بلعقها بأنواع من اللحالب او الفطريات التي تنمو حول المياه الآسنة . هذه الفكرة اضافة لسلامتها العلمية حاليا ورد ذكرها في بعض الرقم الطبية الاشورية والبابلية .

والباحث في الطب الشعبي غير المكتوب يجد العديد من هذه الامثلة التي لم يكن يظن ان لها روابط مع الطب القديم في وادي الرافدين الا بعد اكتشاف الالواح الطبية المكتوبة بالمسمارية ولربما يكشف المستقبل لنا ما يثيرنا عما توارثناه ـ شفاها وممارسة من ذلك الطب الاصيل القديم .

الفصل الثاني

الطب في الجزيرة العربية

لا يتوفر فيما وصل الينا من مدونات عن عهود الحكم القديم في الجزيرة العربية الا القليل ، وهذا القليل من الايجاز بدرجة لا يكفي لتكوين صورة واضحة عن الحضارات التي سادت آنئذ .

ان ما نعرفه عن ذلك التاريخ مستقى من هذه المعلومات القليلة ومما جاء في مدونات حضارات البلدان المجاورة خاصة العراق ومصر وفارس .

فاقدم النقوش التي وجدت في بلاد اليمن ذات تاريخ يرجع عهده للقرن السابع قبل الميلاد وهي اما نقوش (نذرية) مقامة قربانا للآلهة المقة وعثتار وشمس أو نقوش (تاريخية) تدون اخبار معركة او تملن نبأ انتصار ، او قوانين (عسكرية) مسطرة على اعمدة المداخل او (جنائزية) ملحقة بالمعابد .

وقد حفظ الادب الاسلامي القديم خلاصة تاريخ اليمن مثال ذلك ما جاء بمؤلفات (**وهب بن منبه**) المتوفى سنة ١١٠هـ ـ ٧٢٨م و (**الهمداني**) المتوفى

سنة ٣٣٤هـ ـ ٩٤٥م و **(الحميري)** المتوفى سنة ٥٧٣هـ ـ ١١٧٧م .

يستدل من هذه النقوش ومما حفظه الادب الاسلامي ان الدول التي قامت في جنوب الجزيرة كانت ذات حضارة عالية ورفاه اجتماعي حسن . فلقد كان اليمنيون تجارا وكانت اليمن خصبة وممطرة . وكانت محتكرة لتجارة طريق الهند منذ سنة ١٢٥٠ ق.م ـ بسبب وقوعها على الطريق البحري . وان دويلات معينية وسبئية قامت على طول الفرات الادنى حوالي ٧٠٠ ق.م . اثبت ذلك ما وجد من نقوش واختام في هذه المنطقة .

وان ظفار (سفارو) في سفر التكوين كانت العاصمة الحميرية وانها تبعد حوالي ١٠٠ ميل عن **(مخا)** على الطريق المؤدي الى صنعاء .

وان لغة السبئيين وثيقة الصلة باللغة الاكدية في العراق فيما يتعلق بتكوين الاسماء وتصريف الافعال والضمائر والمفردات فكلاهما فرعان من فروع اللغة العربية .

هذا مما ورد من ذكر لحضارات الجزيرة فيما وصل الينا من تراثها . اما ما ورد عنها في تاريخ حضارات الشعوب المجاورة فابرزها ما ورد في تاريخ الاكديين فلقد جاء ذكر لاسم **مجان** (عمان) **وحاسو**

(الاحساء) و **ياصو** (نجد) . وذكر ان الاكديين استوردوا النحاس من مجان . وان الحضارة فيها كانت مزدهرة والبلد خصب كثير العيون حسن العمارة .

وورد في تاريخ البابليين والآشوريين ما يشير الى الاتصالات مع اليمن وجنوبي الجزيرة وذكر للطرق التي تسلكها قوافل التجارة او جيوش الحرب .

وكذلك في تاريخ الفرس فلقد ورد ما يدل على حدوث الاتصالات التجارية مع شعوب الجزيرة ، وحدوث الفتوحات والسيطرة على قسم من ممالك الجنوب في عهود متأخرة .

من الطبيعي ان يؤدي ازدهار الحضارة في بلد ما الى تقدم في فروع المعرفة فيه فيرافق بناء الجيوش مثلا تقدم في تقنية صنع السلاح . يؤدي بدوره الى التوسع في تجارة المواد التي يصنع منها ذلك السلاح ولغيرها من المواد التي تظهر لها حاجة في حينه ويرافق كليهما طلب اكثر على المواد المعيشية فتنتعش الزراعة والصناعة والعمارة . والانسان من طبيعته اذا ما توفرت له ضروريات العيش التفت الى ما يجعله اكثر رفاها ، وليس من شيء اهم من العناية بالصحة يستحق هذا الالتفات . ومع ان

اهتمام الانسان بصحته امر يلازمه في كل احواله الا ان زيادة الاهتمام تظهر عندما تتحسن هذه الاحوال وتنفرج .

من هذا كله يفترض ان العناية بالصحة عند اقوام الجزيرة القدماء كانت موازية لتقدمهم الحضاري ومشابهة او مقاربة لما كان موجودا عند اقوام الحضارات المجاورة . ولابد أن يكون مستوى الطب قد وصل عندئذ الى مستوى ان لم يكن يضاهي المستوى في الامم المجاورة فانه لن يكون دون ذلك بكثير . ومع هذا فان ما لدينا لا يخرج عن دائرة الاستنتاج .

كانت ممارسة الطب في الجزيرة قديما اكثر شيوعا بين العرافين وفئة الممارسين المجربين . فالفئة الاولى تعتمد على التكهن باسباب المرض وسيره وعلاجه . والاستعانة بالنجوم والرقى والتعاويذ . اما الفئة الثانية فتزاول العلاج بالكي والبتر والفصد والحجامة والحمية والمقاقير والاعشاب الطبية ، وترفض الاعتماد على التأثير بالمرض باسماء الجن والشياطين فهي اذا فئة يصح القول فيها انها تمارس على اسس علمية .

لقد كان لكل قبيلة عراف يرجع اليه افراد القبيلة فيما يصيبهم من امراض وعلل واحداث مختلفة وكانوا ينزلونه منزلة الكاهن من حيث

الاحترام والتقدير فهو الذي يعالج امراضهم بوسائله الخاصة ويخبرهم بالغيب على حد زعمهم .

اما الفئة الثانية التي تعتمد الاساس المادي في التطبيب فلها شانها ومكانتها . كان هذا النوع من الاطباء يخالط افراد القبائل في الصحراء اثناء رعي الماشية وتتبع مساقط الغيث ومنابت الكلا والعشب وكانوا اثناء ذلك يراقبون ما يحدث من حمل وولادة ونمو ومرض للانسان والحيوان . علمتهم هذه الملازمة الكثير عما يتعلق بالصحة وخصائص الاعشاب وشيء عن تشريح الحيوان واماكن الاعضاء بالجسم ووظيفة كل عضو واثره في الصحة والبنية .

ازدادت مكانة هذه الفئة بمرور الزمن واشتهر من بينهم من حذق الصناعة حتى صار مضربا للمثل ، منهم :

١ ـ **ابن حذيم** : وهو رجل من بني تيم الرباب كان معروفا بالحذق في الطب صار مضربا للمثل فيقال انه اطب مالكي من ابن حذيم .

قال اوس بن حجر يذكره :

فهل لكما فيها الي فانني

بصير بما اعيا النطاسي حذيما

٢ ـ **رباح بن عجلة** : وكان يقيم باليمامة .

٣ ـ **الابلق السعدي** : وهو من اهل نجد .

يقول **عروة بن حزام** مشيرا الى هذين العرافين :

جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد ان هما شفياني
فقالا نعم نشفي من الداء كله
وقاما مع العواد يبتدران
فما تركا من رقية يعلمانها
ولا سلوة وقد سقياني
فقالا شفاك الله والله مالنا
بما حملت منك الضلوع يدان

وفي البيت الاخير اشارة الى ان العرافين أقرا بانهما لا يملكان للمريض شيئا وانهما تركا امره لله .

٤ ـ **الحارث بن كلدة الثقفي** : واصله من الطائف تعلم الطب في اليمن وجنديسابور وبقي ايام الرسول وايام ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية . سأله عمر ما الدواء قال الازم يعني الحمية

ويروى عن سعد بن ابي وقاص انه مرض بمكة فعاده رسول الله فقال ادعو له الحارث بن كلدة فانه رجل يتطبب .

كان للحارث معالجات كثيرة ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج اليه من المداواة وله كلام مستحسن فيما يتعلق في الطب وغيره . من ذلك انه لما وفد على كسرى انو شروان اذن له بالدخول عليه ودار بينهما كلام منه ان كسرى سأله ما الداء الدوى ؟ قال ادخال الطعام على الطعام . قال فما الجمرة التي تصطلم منها الادواء ؟ قال التخمة ان بقيت في الجوف قتلت وان تحللت اسقمت . قال صدقت فما تقول في الحجامة ؟ قال في نقصان الهلال في يوم صحو لا غيم فيه والنفس طيبة والعروق ساكنة لسرور يفاجئك وهم يباعدك . قال فما تقول في الحمام ؟ قال لا تدخله شبعانا ولا تغشى اهلك سكرانا ولا تقم بالليل عريانا ولا تقعد على الطعام غضبانا وارفق بنفسك يكن ارخى لبالك وقلل من طعامك يكن اهنأ لنومك . قال فما تقول في الدواء ؟ قال ما لزمتك الصحة فاجتنبه فان هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه فان البدن بمنزلة الارض ان اصلحتها عمرت وان تركتها خربت . قال فما تقول اطبيه اهناه وارقه امراة واعذبه اشهاه لا تشربه صرفا فيورثك سداعا ويثير عليك من الادواء انواعا .

(وقال) **سليمان بن جلجل** : اخبرنا **الحسن ابن الحسن** قال :

اخبرنا سعيد بن الاموي قال : اخبرنا عمي محمد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال :

كان اخوان من بني ثقيف من بني كنته يتحابان لم ير قط احسن الفة منهما . خرج الاكبر الى سفر فاوصى الاصغر بامرأته فوقعت عينه عليها يوما غير معتمد لذلك . فهويها وتمنى . ولما قدم اخوه الاكبر جاءه بالاطباء فلم يعرفوا ما به الى ان جاءه بالحارث بن كلدة فقال اري عينين محتجبتين وما ادري ما هذا الوجع . فسقاه نبيذا ولما عمل النبيذ فيه انشد :

الا رفقا لا رفقا قليلا ما اكونه
الا بي السي ابيـــات بالخيف ازر هنه
غزال ما رأت اليـــوم في دور بني كنته
اسيل الخد مربوب وفي منطقة غنه

قال الحارث ردوا النبيذ عليه فلما عمل فيه قال :

ايها الجيرة اسلموا وقفوا كي تكلموا
وتفضـــوا لبانة وتحبوا وتنعموا
خرجت مزنة من البحـــــر ربا تحمحم
هي ما كنتي وتزعـــم اني لها حـــم

فطلقها اخوه وقال تزوج بها يا اخي والله لا

اتزوجها فمات وما تزوجها . وقيل للحارث انت اطب العرب .

٥ ـ **النضر بن الحارث بن كلدة** : هو ابن خالة النبي . سافر للبلادمثل ابيه واجتمع مع الاماثل والعلماء وعاشر الاحبار والكهنـــة واطلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمـة وتعلم من ابيه ما كان يعلمه من الطب وغيره .

كان النضر بؤاتي ابا سفيان في عداوة النبي ، وقد قيل ان الرسول امر بقتله بعد يوم بدر . ذكر ابن هشام ان الذي امر بقتله بالصفراء هو الحارث بن كلدة العلقمي وليس الثقفي .

٦ ـ **ابن ابي رمثة التميمي** : كان طبيبا على عهد رسول الله مزاولا لاعمال اليد وصناعـــة الجراح . قال : اتيت رسول الله فرايت بين كتفيه الخاتم فقلت اني طبيب فدعني اعالجه فقال انت رفيق والطبيب الله . اي ان رسول الله علم بانه رفيق اليد ولم يكن فائقا في العلم .

٧ ـ **الشمردل بن شباب الكعبي النجراني** : جاء في الاصابة لابن حجر العسقلاني ان الشمردل كان في وفد نجران وقدم على النبي وقال : يا رسول الله بابي انت وامي اني كنت كاهن قومي في الجاهلية واني كنت اتطبب فما يحل

لي لا فاني تأتيني الشابة . قال فقد المرؤق ومجسة الطعنة ان اضطرت ولا تجعل من دوائك شبرما ولا ورعان وعليك بالسنا والسنوت ولا تداو احدا حتى تعرف داءه ، فقبل ركبتيه وقال : والذي بعثك بالحق انت اعلم بالطب مني .

٨ ـ **ضماد بن ثعلبة الازدي** : قال بن عباس : قدم رجل من ازد (يقال له ضماد) مكة معتمرا فسمع كفار قريش يقولون محمد مجنون فقال لو اتيت الرجل فداويته فجاءه فقال يا محمد اني اداوي من الريح فان شئت داويتك لعل الله ينفعك فتشهد الرسول وحمد الله وتكلم بكلمات فاعجبت ذلك ضمادا فقال اعدها علي فاعادها عليه فقال لم اسمع مثل هذا الكلام من قبل لقد بلغ قاموس البحر وشيد شهادة الحق وبايعه على نفسه وقومه .

الفصل الثالث

الطب في العصر النبوي

ما ان بزغ فجر الاسلام حتى حمل العرب لواءه ونشروه شرقا وغربا من الصين الى الاندلس فدخلت البلاد العربية في عصر كانت كلمة الدين هي العليا وتعاليمه هي الاسس التي بنى عليها المسلمون قوام حياتهم واصبح كتاب الله وحديث رسوله المنارة التي يهتدي بها المسلمون في شؤون دنياهم .

هذا الاتجاه الفكري الجديد ساعد على نشوب ضرب من الطب يسمى بالطب النبوي لاعتماده احاديث رسول الله وسننه اضافة لما جاء في التنزيل .

لقد جمع البخاري هذه الاحاديث الشريفة في صحيحه وهي تؤلف كتابين : الاول من اثنين وعشرين بابا تشتمل على ثمانية وثلاثين حديثا عن عيادة المرضى ودعاء العائد لهم ورفقة بهم وما يقال لهم عن عيادة النساء للرجال وعيادة الاطفال والدعاء برفع الوباء والحمى . والكتاب الثاني من ثمانية وخمسين بابا تشتمل على واحد وتسعين حديثا جاء فيها ذكر بعض العلل كالصداع والشقيقة

والرمد والجذام واستطلاق البطن وذات الجنب والطاعون ولسعة الحية والعقرب .

لقد اشار رسول الله في احاديثه الى دور الوقاية في حفظ الصحة (النظافة من الايمان) .

والوقاية في الاسلام التدريب الصحي العملي لها فلقد جاء الاسلام بتعاليم دينية صحية تتعلق بالغذاء والنظافة والاغتسال والحركة والرياضة وجعل اتباعها فرضا او واجبا او سننا او مستحبا . ففي النظافة والاغتسال : الامر بالوضوء وقد يبلغ خمسا في اليوم اضافة للاغتسال للمناسبات الاخرى واستحباب الاستياك والتخلل وتقليم الاظافر والختان والتحذير من الدخول على المصابين بالوباء .

ومن باب الوقاية ايضا ما جاء عن نشر العدوى فلقد قال في الطاعون (اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوها واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا منها) . قال فيه حين سالته عائشة رضي الله عنها (ليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا يعلم انه لن يصيبه الا ما كتب له مثل اجر الشهيد) والحكمة في هذا ظاهرة وهي حث الناس على المكوث وعدم نشر العدوى الى اماكن جديدة .

كان رسول الله يعلم ان العرب تعتمد على العرافين في معالجتهم فاراد ان تقوم طائفة تحل

محلهم وتمارس الطب باسم الدين لذلك نجح عليه السلام سعد بن ابي وقاص وكان قد عاده اثناء مرضه بمكة وقال (ادعو له الحارث فانه رجل يتطبب) وكان الحارث اذ ذاك على غير دين الاسلام وتلك اشارة صريحة لما امر به الرسول في ان التماس الطب والانتفاع بشؤون العلاج لا يتعارض مع الدين وانه يجوز للمسلم ان يستشير طبيبا غير مسلم وفيه تكريم للصناعة والمتطببين فالايماء بالاستعانة بالحارث رفع لمكانته كشخص وصاحب مهنة . وفي حديث اخر «تداووا عباد الله تصحوا فان لكل داء دواء الا الهرم»

وقد حدد الاسلام المسؤولية الطبية وتضمين من طب الناس وهو جاهل (من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن) وقد استنتج من هذا الحديث ان من طب الناس وهو جاهل بالطب ضمن الاضرار التي لحقت بالمريض من جراء تطبيبه .

وعن الغذاء والاحتماء روي (المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء) و (من اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه وصلح حاله ونفسه) و (ما ملا ابن ادم وعاءا شرا من بطنه) و (يكفي ابن ادم لقيمات يقمن صلبه) و (نحن قوم لا ناكل حتى نجوع واذا اكلنا لا نشبع) .

وعن علاج الحمى روى (انما الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء) والاستبراد بالماء من الاساليب المستعملة في معالجة الحمى حتى اليوم .

وعن علاج المرضى بتطييب نفوسهم وتقوية قلوبهم روى ابن ماجه (اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الاجل) وفي رواية (من كثر همه سقم بدنه) وروي (ما على احدكم اذا الم به الهم الا ان يتقلد قوسه) وفي ذلك تفريج .

وعن الحث على الرياضة : فالصلوات الخمس رياضة لكل الابدان والاعمار ولا حرج على من لا يستطيع . وكذلك الحج وفعل المناسك والمشي في الحوائج الى الاخوان وقضاء حقوقهم وعيادة مرضاهم وحركة الوضوء والاغتسال .

لقد ذكرت بعض الادوية والاغذية المفردة في الطب النبوي منها : الاثمد (خير اكحالكم الاثمد) الارز (سيد طعامكم اللحم ثم الارز) الحلبة (لو تعلم امتي مافي الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهبا) السفرجل (اطعموا حبالاكم السفرجل فانه يعجم الفؤاد ويريحه ويحسن الولد) والسنا (لو ان شيئا فيه شفاء من الموت لكان بالسنا) العسل في قوله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس) واللحم (من اكله اربعين يوما قسا قلبه)

والملح ـ (سيد ادامكم الملح) والهندباء (كلوا الهندباء ولا تبغضوه) .

من الكتب المؤلفة في الطب النبوي كتاب **لابي عبد الله محمد ابن احمد بن عثمان الذهبي ، ومنها الاحكام النبوية في الصناعة الطبية لابي الحسن علي بن عبد الكريم بن طرخان بن تقي الحموي** يشتمل الجزء الاول على اربعين حديثا اغلبها مما جاء في البخاري والجزء الثاني على مواضيع متفرقة من بينها ذكر قوى بعض الادوية المفردة ومنافعها .

الاسيان في صدر الاسلام :

لم تكن المراة العربية في صدر الاسلام عنصرا غير فعال في المجتمع فلقد كانت غير متوانية عن المساهمة في الخدمة الاجتماعية وعلى رأسها مؤاساة الجرحى وكانت فضليات النساء يتخذنه قياما بالواجب وحبا في التضحية ومشاركة في الجهاد وكن يسرن الى المعارك حاملات اواني الماء وما تحتاج اليه الجراح من لفائف وجبائر وكن ينفذن بين الرجال مسعفات ياسين الجراح ويجبرن الكسور وفيهن من اشترك في القتال عندما دعا الداعي وكانت لهن مواقع مشهودة .

رفيدة : متميزة بالجراحة اختارها الرسول لتقوم بالعمل في خيمة منعزلة وحين اصيب سعد بن

معاذ . قال النبي لاصحابه (اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب) .

ام عطية الانصارية : كانت من المبايعات بين اطباء الجاهلية دخلت في الاسلام واشتهرت بالجراحة وغزت مع الرسول حيث كانت تاسو الجرحى وتقوم على المرضى .

كعيبة بنت سعد الاسلمية : من المعدودات بين طبيبات العرب كانت لها خيمة تداوي فيها المرضى وتاسو الجرحى .

خيمة : وكان موقفها في احد مما نزل دونه اقدام الرجال فقد كانت تفشى الموقعة وتحمل الجريح لتعود به وتاسو جرحه .

نسيبه بنت كعب المازنية : اشتركت اسيبه في غزوة بدر . وكذلك في احد ومعها زوجها وولداها ولما انكشف المسلمون وولوا مدبرين الا عشرة وقفوا يدافعون عن الرسول انتضت سيفها واحتملت قوسها ورمت وجالت وكان حولها نفر قليل بينهم زوجها وولداها فكانت من اعظمهم اثرا لا ترى الخطر يدنو من الرسول حتى تكون سداد . قال فيها عليه السلام ما التفت يمينا وشمالا الا وانا ارها تقاتل دوني . ولما انجلى الوقت ساءلوا عن نسيبة فاذا هي ملقاة يغور دمها من جرح غار بكتفها فمدوا

الجرح وسقوها الماء وبرئت نسيبة وكان لها الفخر بذلك اليوم وبالاثر الباقي . ومما حدثت به ابنها عمارة قال جرحت يومئذ في عضدي وجعل الدم لا يرقا فاقبلت امي ومعها عصائب فربطت جرحي وقالت انهض يا بني وضارب القوم . قالت واقبل الرجل الذي ضرب ابني فضربت ساقه واتيت على نفسه .

اصيبت نسيبة في ذلك اليوم بثلاثة عشر جرحا وهي رغم ذلك ظلت كالمساعقة تضرب في العدو حتى انهزم .

هناك من الاسيات من شهد لهن مثل **اميمة بنت قيس الغفارية** التي خرجت زعيمة للاسيات ولما تبلغ السابعة عشرة من عمرها ، **وام سليم وام سنان الاسلمية وام ايمن والربيع بنت معوذ** .

الفصل الرابع
الطب في العصر الاموي

كانت حال الطب في ايام بني امية مثلما كانت في صدر الاسلام تاتي العناية به بعد العناية باللغة واحكام الشريعة فهو موجود عند الافراد غير منكر عند الجماعة لحاجة الناس اليه ولما كان عندهم من الاثر في الحث عليه من قبل النبي .

ولقد اشتهر في عهدهم من الاطباء :

١ ـ **ابن اثال** : كان من الاطباء المتميزين في دمشق . نصراني المذهب . لما تولى معاوية بن ابي سفيان الخلافة اصطفاه لنفسه واحسن اليه . كان بن اثال خبيرا بالادوية المفردة والمركبة وقواها وما هو منها سام وقتال .

٢ ـ **عبد الملك بن ابجر الكناني** : ينتسب بنو ابجر الى بني فراس من كنانة وانهم كانوا اطباء في الكوفة . كان عبد الملك طبيبا عالما ماهرا يستطبه عمر بن عبد العزيز ويعتمد عليه في صناعة الطب . روى الاعمش ابن ابجر قال : دع الدواء ما احتمل بدنك الداء . وروى سفيان عن ابن ابجر قال : المعدة حوض

الجسد والعروق تشرع فيه فما ورد فيها صدر بصحة وما ورد فيها بسقم صدر بسقم .

٣ ـ **ابن ماسرجويه** : الطبيب البصري وكان سريانيا يهودي المذهب وكان عالما بالطب تولى لعمر بن عبد العزيز ترجمة اهرن القس في الطب وهو كتاش من افضل الكنانيش القديمة وجده عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب فامر باخراجه ووضعه في مصلاه واستخار الله في اخراجه الى المسلمين لينتفع به فلما تم له في ذلك اربعون يوما اخرجه للناس وبثه في ايديهم . ولماسرجويه من التصانيف كتاب قوى الاطعمة ومنافعها وكتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها .

٤ ـ **ابو الحكم** : كان طبيبا نصرانيا عالما بانواع العلاج والادوية وله اعمال كثيرة ومصنفات شهيرة فكان معاوية بن ابي سفيان يستطبه ويعتمد عليه في تركيبات ادوية لاغراض قصدها منه وعمّر حتى تجاوز المائة .

٥ ـ **الحكم الدمشقي** : وهو الابن . كان مثل ابيه بمعرفته بالمداواة والاعمال الطبية والصفات البديعة وكان مقيما بدمشق وعمّر طويلا ايضا . **قال ابو يوسف بن ابراهيم** حدثني **عيسى بن الحكم** انه ركب مع ابيه بمدينة دمشق اذ اجتازوا

بحانوت حجام وقف عليه بشر كثير فلما بصر بنا بعض الوقوف قال اخرجوا هذا المحكم المتطبب وعيسى ابنه فاخرج القوم فاذا برجل فصده الحجام في العرق انباسيليق واصاب الشريان ولم يكن عند الحجام حيلة في قطع الدم فاستعملنا الحيلة في قطعه بالرفائد ونسيج العنكبوت والوبر فلم نفلح فسألني والدي ما الحيلة فاعلمته ان لا حيلة عندي فدعا بفستقة فشقها وطرح ما فيها واخذ نصفي القشر فجعله على موضع الفصد ثم اخذ حاشية من ثوب كتان غليظ فلف بها على قشر الفستقة لفا شديدا ثم امر بحمل الرجل الى نهر بردى وادخل يده في الماء ووكلا له على شاطىء النهر ونومه ووكل به تلميذا من تلامذته امره بمنعه من اخراج يده من الماء الا عند وقت الصلاة او ان تخوف عليه الموت من شدة البرد . ففعل ذلك الى الليل ثم حمله الى منزله ونفس من الشد شيئا في اليوم الثالث . فلما كان اليوم الخامس حل الشداد فوجدنا قشر الفستقة ملتصقا باللحم فقال والدي للرجل : بهذا القشر نجوت من الموت فان خلعته قبل انخلاعه وسقوطه من غير فعل منك تلفت نفسك . قال عيسى فسقط القشر في اليوم السابع وبقي في مكانه دم يابس لم يزل يتحات حتى انكشف موضع الفصد في اكثر من اربعين ليلة وبرأ الرجل .

٦ ـ **عيسى بن الحكم الدمشقي** : وهو الحفيد في هذه العائلة . وصاحب الكناش الكبير الذي ينسب اليه . حدث لفضيض أم ولد الرشيد قولنج فاحضرته واحضرت معه الابح والطبري المنجمين وسألته عما يرى معالجتها به فاعلمنا ان القولنج قد استحكم بها فان لم تبادره بالحقنة لم يؤمن عليها التلف . فقالت للابح والطبري اختارا لي وقتا اتعالج فيه . قال الابح علتك هذه ليست من العلل التي يمكن العلاج الى وقت يحميه المنجمون واشار الطبري بالتاجيل الى يوم الغد حيث يكون القمر مع المشتري فاختارت قول الطبري في التأجيل ومانت قبل موافاة القمر للمشتري.

قال يوسف قال لي عيسى : ان لا تذوق الشديد ولا تغسل يدك ورجليك عند خروجك من الحمام ابدا بماء بارد ابرد ما يمكنك والزم ذلك فانه ينفعك .

ولعيسى بن الحكم كتاب في منافع الحيوان .

٧ ـ **تيا ذوق** : عاش في اول دولة بني أمية وكان مشهورا وله نوادر والفاظ مستحسنة في صناعة الطب . صحب الحجاج بن يوسف الثقفي وخدمه وكان يعتمد عليه ويثق بمداولاته . وجد الحجاج في رأسه صداعا

فبعث الى ثياذوق واحضره فقال انسل رجليك بماء حار وادهنهما . وكان للحجاج خصي قائم على راسه فقال والله ما رايت طبيبا اقل معرفة بالطب منك شكى الامير الصداع في راسه فتصف له دواء في رجليه . فقال عيسى : ان علامة ما قلت فيك بينة . قال الخصي وما هي ؟ قال نزعت خصيتاك فذهب شعر لحيتك . فضحك الحجاج ومن حضر .

ولما حضرته الوفاة دخل عليه الحجاج فقال : الزم ما كنت وصيتك به وما نسيت فلا تنس : لا تشربن دواء حتى تحتاج اليه ولا تاكلن طعاما وفي جوفك طعام واذا اكلت فامشي اربعين خطوة واذا امتلات من الطعام فنم على جنبك الايسر ولا تاكلن الفاكهة وهي مولية ولا تاكل من اللحم الا فتيا ولا تنكحن عجوزا وعليك بالسواك ولا تتبعن اللحم فان ادخال اللحم على اللحم يقتل الاسود في الفلوات .

ولشياذوق من الكتب كتاش كبير الفه لابنه وكتاب ابدال الادوية وكيفية دقها وايقاعها واذابتها وشيء من تفسير اسماء الادوية .

٨ – **زينب طبيبة بني اود** : كانت مشهورة بين العرب بخبرتها بعلاج امراض العين والجراحات وكانت عارفة بالاعمال الطبية .

قال كناسة عن ابيه عن جده قال : اتيت امراة من بني اود لتكحلني من رمد اصابني فكحلتني وقالت اضطجع قليلا ريثما يدور الدواء في عينيك فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر :

امخترمسي ريب المنون ولم ازر
طبيبه بني اود على النأي زينبا

فضحكت وقالت اتدري فيمن قيل هذا الشعر قلت لا قالت في والله قيل وانا زينب التي عناها وانا طبيبة بني أود . افتدري من الشاعر ؟ قلت لا قالت عمك ابو سماك الاسدي .

٩ – **الامير خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان**: كان شغوفا بالكيمياء . استخدم عددا من فلاسفة الاغريق القاطنين بمصر واغدق عليهم النعم فترجموا له الكثير من الكتب اليونانية والمصرية القديمة في الكيمياء والطب والنجوم .

قال الجاحظ كان خالد بن يزيد خطيبا شاعرا وفصيحا جامعا جيد الراي كثير الادب . وكان اول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء .

وذكر ابن خلكان انه كان من اعلم قريش بفنون العلم وله كلام في صنعة الكيمياء والطب وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما وله رسائل دالة على معرفته وبراعته .

وذكر ابن النديم ان الماريمة كتب في الكيمياء هي كتاب الحرارات وكتاب الصحيفة الكبير وكتاب الصحيفة الصغير وكتاب وصيته الى ابنه في الصنعة .

وقد كان الوليد بن عبد الملك اول من انشأ المارستانات في الاسلام فلقد انشأ مارستانا بدمشق عام ٨٨ هجرية جعل فيه الاطباء وقد ذكر الطبري ان الخليفة المذكور امر بحبس المجذومين عن ان يخرجوا على الناس واجرى لهم الارزاق . وهذا اول محجر شيد في الاسلام .

الفصل الخامس

الطب في العصر العباسي

عندما ال الحكم لبني العباس واسس ابو جعفر المنصور مدينة بغداد سنة ١٤٨ هجرية عاصمة لملكه ادركه ضعف في معدته وسوء استمراء وقلة شهية ، وكلما عالجه الاطباء ازداد مرضه سوء فجمعهم وقال اريد من الاطباء في سائر البلدان طبيبا ماهرا فقالوا ما في عصرنا افضل من **جورجيس بن بختيشوع** رئيس اطباء جنديسابور فانه ماهر في الطب وله مصنفات جليلة . فطلب احضاره ولم يزل جورجيس يتلطف له في تدبيره حتى برأ المنصور وعاد الى الصحة وفرح فرحا شديدا . استمر جورجيس في خدمة المنصور الى سنة اثنين وخمسين بعد المائة هجرية حيث مرض فاستأذن المنصور للرجوع الى جنديسابور وخلف وراءه ببغداد احد تلامذته عيسى بن شهلا طبيبا للمنصور . وكان جورجيس عندما حضر الى بغداد ترك وراءه لرئاسة البيمارستان في جنديسابور ابنه بختيشوع وكان هذا كابيه ماهرا في صناعة الطب .

وقد لبث هناك الى ان مرض الهادي بن المهدي فارسل اليه المهدي فقدم ودبر الهادي تدبيرا

حسنا وشفاه شفاءا تاما . وعز على ام الهادي الخيزران ان الهادي لم يستطب ابا قريش طبيبها فاخذت هي وابو قريش في مناكدة بختيشوع . وعلم الهادي بفعلها فاعاده مكرما الى جنديسابور . وفي سنة احدى وسبعين ومائة لحق بالرشيد صداع عجز فيه اطباؤه عن معالجته وكان فيهم ابو قريش والطيفوري وابن سرافيون وسرجيس فقال الرشيد ليحي بن خالد ان هؤلاء الاطباء قد عجزوا عن مداواتي فابحث لي عن طبيب ماهر يتولى علاجي . فقص عليه حكاية بختيشوع ومناكدة الخيزران له فارسل في طلبه فلما قدم بختيشوع جمع الرشيد اطباءه لمناظرته فلما رأوه قال ابو قريش يا امير المؤمنين ليس فينا من يقدر على كلام مع هذا لانه كوّن ـ الكلام هو وابوه ، وجنسه فلاسفة ، فسر الرشيد وقال يكون بختيشوع رئيس الاطباء كلهم وله يسمعون ويطيعون .

ولبختيشوع من الكتب كتاش التذكرة الفه لابنه جبرائيل

جبرائيل بن بختيشوع :

كان مشهورا بالفضل جيد التصرف في المداواة حظيا عند الخلفاء كثيري الاحسان اليه ، حصل منهم من الاموال ما لم يحصله غيره من الاطباء .

قال فثيون الترجمان : لما كان في سنة خمس وسبعين ومائة مرض جعفر بن يحي البرمكي امر الرشيد بختيشوع بان يخدمه . فلما افاق قال لبختيشوع اريد ان تختار لي طبيبا ماهرا قال بختيشوع ابني جبرائيل امهر مني وليس في الاطباء من يشاكله فقال له احضرنيه ، ولما احضره شكا اليه مرضا كان يخفيه فدبره في ثلاثة ايام وبرأ فاحبه جعفر مثل نفسه وكان لا يصبر عنه ساعة .

وفي تلك الايام تعطلت جارية للرشيد ورفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها ولم تفد معالجة الاطباء لها بالتمريخ والادهان . فاستدعى الرشيد جبرائيل وشرح له حالها فقال جبرائيل ان لم يسخط علي امير المؤمنين فيها عندي حيلة . فلما اذن له طلب ان تخرج الجارية ثم تعود وحين رآها جبرائيل عائدة ركض اليها ومسك ذيلها كانه يريد ان يكشفها فانزعجت الجارية ومن شدة الحياء بسطت يدها الى اسفل ومسكت ذيلها . فقال جبرائيل قد برئت يا امير المؤمنين فقال الرشيد للجارية ابسطي يديك يمنة ويسره ففعلت ذلك وعجب الرشيد ومن معه وامر لجبرائيل بخمسمائة الف درهم وجعله رئيسا على جميع الاطباء . ومنذ يوم خدم الرشيد الى ان انقضت خمس عشرة سنة لم يمرض الرشيد . وفي اواخر ايامه عندما كان

بطوس مرض المرضة التي توفي بها قال لجبرائيل لم لا تبرئني ؟ فقال له قد كنت انهاك دائما عن التخليط وسألتك ان تخفف من الجماع وها انا اطلب منك ان ترجع الى بلدك فانه اوفق لمزاجك . فلم يقبل الرشيد وامر بحبسه . واستحضر اسقفا من فارس قيل انه يفهم في الطب فلما حضر وراى الرشيد قال له هذا المرض كله من خطا جبرائيل فامر الخليفة بقتل ــ جبرائيل ولكن الفضل بن الربيع استبقاه ، ومات الرشيد بعد ايام . ولحق الفضل في تلك الايام مغص شديد آيس الاطباء منه فعالجه جبرائيل واحسنه وبرا الفضل وازدادت محبته له .

ولما تولى الامين الخلافة وافى اليه جبرائيل واحسن قبوله واكرمه اكثر مما كان ابوه يهبه له .

فلما كان من الامين ما كان وملك المأمون الامر كتب الى الحسن بن سهل بان يقبض على جبرائيل ويحبسه لانه مخي بعد موت ابيه الرشيد الى اخيه الامين ففعل الحسن ذلك . ولما كان في سنة اثنتين ومائتين مرض الحسن بن سهل مرضا شديدا وعالجه الاطباء فلم ينتفع بذلك فاخرج جبرائيل من الحبس فعالجه وبرأ في ايام يسيرة فوهب له مالا وافرا وكتب الى المأمون يعرفه خبر علته ويسأله في امر جبرائيل فاجابه بالصفح عنه .

ولما دخل المأمون الحاضرة سنة اثنين ومائتين امر ان يجلس جبرائيل في منزله ولا يخدم ووجه من احضر ميخائيل المتطبب صهر جبرائيل وجعله مكانه .

ولما كان في سنة عشر ومائتين مرض المأمون مرضا صعبا وكان وجوه الاطباء يعالجونه ولا يصلح فقال له اخوه ابو عيسى يا امير المؤمنين نحضر جبرائيل فانه يعرف مزاجاتنا منذ الصبا فتفاءل عن كلامه . ولما ضعفت قوة المأمون عن اخذ الادوية ذكروه بجبرائيل فامر باحضاره ، ولما حضر غير تدبيره كله فاستقل بعد يوم وصلح بعد ثلاثة ايام فسر المأمون به سرورا عظيما ولما كان بعد ايام يسيرة صلح صلاحا تاما واذن له جبرائيل في الاكل والشرب فامر المأمون بالف الف درهم وبالف كر حنطة ورد عليه سائر ما قبض منه من الاملاك والضياع وصار اذا خاطبه كناه بأبي عيسى .

ولم يعمر جبرائيل بعد ذلك طويلا . وقد احصى القفطي ما جمعه جبرائيل من الرزق والرسوم والصلات في الثلاثة وعشرين عاما التي خدم الرشيد والبرامكة فبلغ ذلك من الورق ثمانية وثمانين الف الف درهم (٨٨٠٠٠٠٠٠) .

وله من الكتب رسالة في المطعم والمشرب قدمها

للمامون وكتاب المدخل الى صناعة المنطق ورسالة مختصرة في الطب .

وخلف جبرائيل ابنه بختيشوع وكان حاذقا . نكبه الواثق في اول امره لوشايات دسها عليه ابن الزيات وابن ابي داوود فقبض املاكه ونفاه الى جنديسابور ولكنه رجع الى بغداد بعد وفاة الواثق وانضم الى خدمة المتوكل فحسن حاله وعظمت منزلته .

خلف بختيشوع في بلاط العباسيين ابنه عبيد الله وكان في خدمة المقتدر ثم مات عبيد الله تاركا ابنه واختا له صغيرة فتكبهما المقتدر واحتوى على ما في منزلهما من آثاث ليلة موت ابيهما عبيد الله.

التحق جبرائيل بالبيمارستان وقرأ على **ابن يوسف الواسطي** الطبيب فنبه ذكره ثم رحل الى شيراز والتحق بخدمة عضد الدولة ولما مرض الصاحب بن عباد ارسله عضد الدولة لتدبيره فعالجه علاجا حسنا ثم رجع الى بغداد واقام ثلاثة اعوام اوفده بعدها عضد الدولة لعلاج خسرو شاه ملك الديلم .

لجبرائيل كتاش كبير اسمه الكافي خمس مجلدات الفه للصاحب بن عباد على طريقة المسالة والجواب ، وله كتاش صغير ، ورسالة في عنصب

العين ومقالة في الم الدماغ بمشاركة فم المعدة والحجاب الفاصل وكتاب افضل التقسيمات البدن هو الدم وكتاب المطابقة بين قول الانبياء والفلاسفة ومقالة في الرد على اليهود .

توفي جبرائيل عام ٢١٦ هجرية وخلف وراءه ابنه عبد الله .

كان **ابو سعيد عبد الله بن جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع بن جبريل** فاضلا في صناعة الطب مشهورا بالجودة والاعمال فيها متقنا لاصولها وفروعها . اقام بميافارقين وكان معاصرا لابن بطلان ويجتمع به ويانس اليه . له من الكتب مقالة في الاختلاف بين الالبان وكتاب مناقب الاطباء وكتاب التواصل في حفظ التناسل ورسالة في بيان وجوب حركة النفس وكتاب الخاص في علم الخواص وكتاب طبائع الحيوان .

بهذا الرجل تنتهي عائلة توارث ابناؤها تطبيب الخلفاء من بداية الحكم العباسي لحين بداية تدهوره .

لم يكن لهذه العائلة من فضل في تقدم الطب الا القليل فلقد ساهم بعض افرادها في الترجمة او او ارسوا قواعد بيت الحكمة الا ان هذه العائلة بحكم اتصالها بالخلفاء تمكنت من اذكاء نار ازدهار الطب في ذلك العصر .

عصر الترجمة :

كان للطب والاطباء مكانة خاصة من بداية حكم العباسيين فابتدات حركة النقل والترجمة من ايام المنصور اذ نقل جورجيس بن بختيشوع كتبا طبية من اليونانية الى العربية ونقل ابن المقفع في عهده كتبا في المنطق والطب كان الفرس قد نقلوها من اليونانية الى الفارسية ونقل ابن البطريق كتبا طبية كثيرة من كتب ابقراط وجالينوس امره المنصور بنقلها .

و في ايام الرشيد انشيء **بيت الحكمة** واسندت رئاسته **لسلم الطبيب** وجمع الرشيد عددا من التراجمة بينهم يوحنا بن ماسويه ورغبهم في نقل العلم من اليونانية والسريانية والفارسية وخلال حروبه في نقرة وعمورية وغيرها من بلاد الروم حمل كتبا جليلة مما عثر عليه الى بغداد وامر يوحنا بن ماسوية بترجمتها وكان المأمون محبا للعلم والعلماء شغوفا بالاطلاع جعل عصره ازهى العصور الاسلامية. ارسل في اوائل عهده الى ملك الروم يطلب منه ارسال ما يختار من العلوم القديمة المدخرة ببلاده واوفد لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وغيرهم فاخذوا ما وجدوه وحملوه اليه فامر بترجمته .

وبعث المأمون الى حاكم صقلية ايضا يطلب منه ان يرسل له من كتب الفلاسفة ونفائس العلم

الموجوده في مكتبة صقلية . ولما تولى المأمون واعاد انشاء مجلس الترجمة جمع في بيت الحكمة كتب العلم في لغاتها وعلم الناس برغبته فاتوه بالكتب على اختلاف موانيعها واشكال خطوطها . وكان المأمون يبذل بسخاء في الترجمة حتى اعطى وزن ما يترجم له ذهبا . وقد اقتدى به الكثير من رجال دولته ، فتقاطر اليها المترجمون من كل صوب يترجمون من اليونانية والفارسية والسريانية — والسنسكريتية والنبطية واللاتينية وغيرها وكثر في بغداد الوراقون وباعة الكتب وتعددت مجالس المناظرة واصبح هم الناس المطالعة والبحث . ظلت هذه النهضة بعد المأمون الى عدة خلفاء حتى نقلت اهم الكتب الى العربية .

جدد المتوكل بيت الحكمة سنة ٨٥٦م وكلف بادارتها حنين بن اسحاق ، ومهد جميع السبل لمن يرغب في السفر والتنقيب عن المخطوطات اليونانية وحملها الى بغداد لترجمتها .

يقسم عصر الترجمة الى ثلاثة ادوار : الاول من خلافة ابي جعفر المنصور الى وفاة الرشيد ١٣٦ — ١٩٨هـ ونبغ ممن ترجموا في الطب بهذا الدور يحي بن البطريق وجورجيس بن بختيشوع وعبد الله بن المقفع ويوحنا بن ماسوية وسلام الابرش ويلسل البطريق . والدور الثاني يبتدىء من ولاية

المامون ١٩٨هـ وينتهي عام ٣٠٠هـ نبه فيه الحجاج بن مطر وقسطا بن لوقا البعلبكي وحنين بن اسحاق وابنه اسحاق وحبيش الاعسم وعيسى بن يحي وثابت بن قرة الحراني . اما تراجمة الدور الثالث ٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ فكانوا اكثر اشتغالا بنقل علم المنطق والطبيعة منهم في الطب . برز فيهم متي بن يونس ويوحنا بن ثابت بن قرة وشهدي الكرخي وابن شيدى وماسرجيس وعيسى بن ماسرجيس .

كان حنين بن اسحاق العبادي ابرز المترجمين في العصر العباسي اصله من الحيرة انتقل الى بغداد ثم رحل الى بلاد الروم وتعلم اليونانية ثم يمم شطر البصرة ولزم الخليل بن احمد حتى برع في اللسان العربي وعاد الى بغداد فجعل له المتوكل كتابا عالمين بالترجمة يتصفح هو مايترجمون وقد يصحح فيها لفصاحته في اللسان اليوناني واللسان العربي . كان هؤلاء الكتاب مثل اسطيفان بن باسيل وموسى بن خالد ويحي بن هرون . خدم حنين المتوكل في الطب وما زال امره يقوى وعلمه يزداد حتى صار ينبوعا للعلوم . ذكر القفطي ان المتوكل طلب منه ان يصنع له سما قاتلا فقال اني ما تعلمت سوى الادوية النافعة ولا علمت ان امير المؤمنين يطلب مني غيرها . فحبسه الخليفة في احدى القلاع وكان في حبسه منشغلا بالقراءة والترجمة الى ان ارسل اليه

الخليفة بعد سنة وقال له ان ذلك لم يكن الا لامتحانه فقال يا امير المؤمنين لم يمنعني عن ذلك الا الدين والصناعة فالدين يأمرنا باستعمال الخير مع اعدائنا والصناعة تمنعني من الاضرار بابناء الجنس . وقد ترجم حنين الى العربية سبعة من كتب ابقراط وتسعة وثلاثين من كتب جالينوس عدا الكثير التي ترجمها الى السريانية للاطباء والعلماء والنصارى . وقد بلغت تآليفه الخاصة نحو ثلاثين بين كتاب ورسالة خمسة منها في العين اشهرها كتاب العشر مقالات في العين . وقام كذلك بترجمة كتب التشريح لجالينوس . وقد فقدت الاجزاء السبعة الاخيرة من الكتاب الاصلي لو لا ان حفظتها ترجمة حنين .

اما **ابنه اسحق** فقد كان اوحد عصره في علم الطب وكان مثل ابيه فصاحة في اللغات وقدرة في الترجمة لو لا ان الموجود من كتبه المترجمة في الحكمة اكثر من تلك الموجودة في الطب . وكان ان دخل من خدمة من انقطع اليهم ابوه من الخلفاء والرؤساء ثم انصرف الى خدمة القاسم بن عبدالله وزير المعتمد .

ولاسحق في الطب تآليف بلغت الخمسة عشر خلاف ماترجمه من كتب القدماء ولقد انفرد بترجمة بعض كتب جالينوس .

كان حبيش ابن حنين يشترك في الترجمة مع اسحق وبلغ ما نقله لجالينوس مع اسحق ثنين وعشرين كتابا عدا كتاب الديموس الذي شاركه ثابت في نقله . اما تاليفه الخاصة فبلغت خمسة وقيل من جملة سعادة حنين صحبة حبيش له فان اكثر ما نقله حبيش نسب لحنين .

ومن النقلة **يوحنا بن ماسوية** وكان سريانيا نسطوري المذهب من جنديسابور خدم الرشيد والمامون وعاش الى عصر المتوكل . ولاه الرشيد بيت الحكمة وقلده ترجمة الكتب اليونانية التي حصل عليها في حروبه بانقره وعمورية . وكان الخلفاء العباسيون لا يتناولون شيئا من اطعمتهم الا بحضرته . بلغت تصانيفه عند القفطي واحدا وعشرين كتابا ومن ضمن مؤلفاته كتاب في الجذام وهو اول من كتب فيه .

ومنهم **ثابت بن قرة الحراني** (٢٢١–٢٨٨هـ) وابناه ابراهيم وسنان وحفيداه ثابت وابراهيم وكانوا نقلة جيدة من السريانية الى العربية . لثابت ثلاثة وعشرون مؤلفا منها خمسة في الطب . كان ثابت انظم من عرف من مدرسة حران في العالم العربي . نبغ ابنه سنان في الطب وارتفع شانه وخدم المقتدر بالله والقاهر والراضي بالله .

ومن النقلة ايضا **قسطا بن لوقا البعلبكي** وهو من بطارى الشام وكان طبيبا حاذقا عالما باللغات اليونانية والسريانية والعربية كان جيد النقل ، وقد عاصر فيلسوف العرب يعقوب بن اسحق الكندي .

وقد نقل (منكه) الهندي من السنسكرينية الى العربية كتاب سيشروتا في الطب ونقل ابن دهن كتاب سنانكر الجامع وكتاب صفوة النجح ، ونقل اسحق بن سليمان كتاب اسماء عقاقير الهند .

عصر التاليف :

ظهر بين تراجمة الدور الاول والثاني مؤلفون، اقتبسوا اكثر مما كتبوا ولم يكن لهم فضل كبير في استخراج شيء من عندهم الا القليل . من هؤلاء يوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحق وجبريل بن بختيشوع وثابت بن قرة . وفي اواخر عصر الترجمة ظهرت بشائر عهد جديد هو عهد التاليف الذي جاء حصيلة الاقتباس من علوم الاولين بعد زيادتها اتقانا واضافة الكثير من التجارب لها وتزيينها بنتاج الفكر العربي . لقد اشتهر من هؤلاء المؤلفين اربعة :

(١) – علي بن ربن الطبري : هو ابو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري – كان يكتب للمازيار بن قارن . اسلم على يد المعتصم فقربه . وادخله المتوكل في جملة ندمائه . وهو معلم الرازي في صناعة

الطب . نشأ في طبرستان ابوه ربن الطبيب اليهودي المنجم . له من الكتب كتاب فردوس الحكمة جعله على سبع انواع تحتوي على سبعين مقالة فيها ثلثمائة وستون بابا . وكتاب ارفاق الحياة وكتاب تحفة الملوك وكتاب منافع الاطعمة والاشربة والعقاقير وكتاب حفظ الصحة وكتاب في ترتيب الاغذية . وغيرها .

(٣) — **ابو بكر الرازي** : هو ابو بكر محمد بن زكريا الرازي : ولد ونشأ بالري . كان في اول شبيبته يضرب العود وبعد ان بلغ العشرين من عمره قدم الى بغداد وقرأ الطب على ابن ربن الطبري طبيب المعتضد .

قال القاضي صاعد الاندلسي في طبقات الامم : ولا انه توغل في العلم الالهي وما فهم غرضه الاقصى فانضرب لذلك رأيه وتقلد اراء سخيفة ومذاهب خبيثة وذم اقواما لم يفهم عنهم ولا اهتدى لسبيلهم . انتقل رئيسا لبيمارستان الري ثم انتقل الى بغداد . ويقول الرازي انه قرأ الفلسفة على البلخي وكان هذا حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة يطوف البلاد ويجول الارض ويقال ان الرازي ادعى كتبه في ذلك .

مما يحكى عن الرازي في جودة استدلاله ان غلاما قدم الري من بغداد وهو ينفث الدم وقد لحقه

ذلك في طريقه فاستدعى ابو بكر الرازي فارآه ما ينفث ووصف ما يجد فاخذ الرازي مجسه وراى قارورته واستوصف حاله منذ بدا ذلك به فلم يفهم له دليل على سل او قرحة ولم يعرف العلة واستمهله للتفكير فنال المريض ذلك ويئس . وولد للفكسر للرازي ان اشاد السؤال عليه عن المياه التي شربها في طريقه فاخبره انه شرب من مستنقعات وصهاريج . فقام في نفس ابي بكر ان علقة كانت في الماء فحصلت في جوفه وان النفث من فعلها . فقال للغلام اذا كان في غد جئتك وعالجتك ولا — انصرف الا ان تبرا ولكن بشرط ان تامر غلمانك بان يطيعوني فيما امرهم به . قال نعم . وجاء الرازي في اليوم الثاني ومعه مركنان كبيران من طحلب اخضر وقال للغلام ابلع ما في المركنين فبلع شيئا يسيرا ثم توقف . قال ابلع قال لا استطيع قال للغلمان خذوه وثبتوه على قفاه ففعلوا ذلك وفتحوا فاه واقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبسا ويطالبه ببلعه شاء ام ابى ويتهدده بالضرب الى ان بلعه كارها احد المركنين والرجل يستغيث فلا ينفعه مع الرازي شيء فقال الآن اقذف فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه فذرعه القيء فقذف فتأمل الرازي قذفه فاذا فيه علقة قرمته الى الطحلب وتركته مونسها وخرج مع القذف . ونهض الرجل معافى .

للرازي من الكتب في الطب **الحاوي** وهو اجل كتبه واعظمها في صناعة الطب وذلك انه جمع فيه كل ما وجده متفرقا في ذكر الامراض ومداولاتها من سائر الكتب الطبية للمتقدمين ومن اتى بعدهم الى زمانه وضم كل شيء نقله فيه الى قائله .

ان الرازي توفي ولم يقسم له في الاجل ان يحرر هذا الكتاب ، وقيل ان ابن العميد قد حصل على مسودات الكتاب من اخت الرازي بعد وفاته وجمع تلاميذه الاطباء حتى رتبوه . وللرازي **كتاب البرهان** وكتاب **الطب الروحاني** وكتاب ان للانسان خالقا متقنا حكيما فيه دلائل من التشريح ومنافع الاعضاء . وكتاب في كيفية الابصار وكتاب في علل المفاصل والنقرس وعرق النسا ، وغيرها .

ومن كتاب **المنصوري** الفه للامير منصور ابن اسحق ابن اسماعيل بن احمد صاحب خراسان تجري فيه الاختصار والايجاز مع جمعه لجمل وجوامع يتبين من صناعة الطب علمها وعملها . وكتاب **الجامع** ويسمى حاصر صناعة الطب جمع فيه ما وقع اليه وادركه من الكتب الطبية القديمة والمحدثة الى موضع واحد في كل باب .

ومن اهم رسائله الصغيرة رسالة عن الجدري والحصبة يقول عنها المؤرخون المحدثون انها حلية

في جيد الطب العربي وان اهمية عظمى في تاريخ الامراض — الوبائية .

(٣) — **علي بن العباس المجوسي** : طبيب فاضل فارسي الاصل ولد بالاهواز ونشأ هناك . قرأ على شيخ فارسي يقال له ابو ماهر . صنف للملك عضد الدولة فناخسرو بن بويه كتابه المسمى بالملكي وهو كتاب جليل مال الناس اليه ولزموا درسه الى ان ظهر كتاب القانون لابن سينا .

(٤) — **ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا** : ولد في افشنه قرية من ضياع بخاري . كان ابوه من الاسماعيلية تفقه الدين ودرس الحساب والمنطق والهندسة والنجوم على ابي عبد الله الناتلي . ثم رغب في الطب فقرأ الكتب المصنفة فيه وبرز حتى صار فضلاء الاطباء يقرأون الطب عليه . مرض نوح بن منصور الساماني مرضا حار فيه الاطباء فذكر له ابن سينا فعالجه وبرأ ، فاستأذن نوح بالدخول الى دار كتبه فدخل وقرأ تلك الكتب وظفر بفوائدها . ثم انتقل ابن سينا الى الري ثم الى همذان فاستوزره شمس الدولة . وحدثت فتنة ادت الى خلع ابن سينا وسجنه . وبعد مدة مرض شمس الدولة بالقولنج فاخرج ابن سينا من السجن فعالجه واشفاه ، فاكرمه شمس الدولة واعاده الى سابق مكانته .

قال الجوزجاني كان ابن سينا يقضي النهار في خدمة الامير والليل بالقراءة والتدريس والتاليف وكان يجتمع في داره كل ليلة طلبة العلم وكنت اقرا من الشفاء نوبة ويقرا غيري من القانون نوبة فاذا فرغنا حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم وعبق مجلس الشراب بآلاته وكنا نشتغل به .

احصى القفطي مؤلفات ابن سينا فبلغت ٢١ كتابا كبيرا و ٢٤ رسالة صغيرة في علوم الدين واللغة والفلسفة والطب والهندسة والفلك وطبقات الارض كلها بالعربية عدا كتاب في الطب ورسالة في النبض كتبتا بالفارسية .

وكتاب القانون في الطب اشهر كتبه على الاطلاق وهو موسوعة علمية ضافية فيها خلاصة الفكر اليوناني والعربي وتمثل القمة التي وصلت اليها الحضارة العربية في فنون الطب تجربة ونقلا . اشتهر القانون في اوربا في القرون الوسطى وكان الكتاب المدرسي في الطب في جامعة مونبلييه ولوفان في القرن السابع عشر . طبع باللاتينية ست عشرة مرة في القرن الخامس عشر وعشرين مرة في القرن السادس عشر .

كان ابن سينا اول من وصف عضلات العين الداخلية واول من حاول التفرقة بين البرقان الانحلالي والبرقان الانسدادي ويبدو من كتاباته انه

سبق غيره الى معرفة بعض الامراض التي تنتقل بواسطة مياه الشرب وانه عزاها الى حيوانات دقيقة لا ترى بالعين يتعاطاها الانسان في الماء دون ان يحس بها .

توفي في رمضان عام ٤٢٨هـ وعمره ثلاث وخمسون سنة .

ومن الاطباء المؤلفين والمترجمين على حد سواء :

١ ـ **يعقوب بن اسحق الكندي** : ويلقب بفيلسوف العرب واحد ابناء ملوكها . وكان ابوه اسحق اميرا على الكوفة للمهدي والرشيد وجده الاشعث بن قيس من اصحاب رسول الله وكان قبل ذلك ملكا على جميع كنده وكذلك ابو الاشعث قيس بن معدى كان ملكا على جميع كنده .

تبحر الكندي في علوم الفلسفة والموسيقى والنجوم والمنطق والحساب والطب وخدم المامون والمعتصم وهو اول من حذق الفلسفة والطب من العرب في عصر الاسلام . تربو مؤلفاته على المائتين منها واحد وعشرين في الطب .

قال ابو معشر في كتاب المذكرات لشاذان : حذاق الترجمة في الاسلام اربعة . حنين بن اسحاق

ويعقوب الكندي وثابت بن قرة وعمر بن الفرخان الطبري .

وكان محمد واحمد ابنا موسى بن شاكر في ايام المتوكل يكيدان للكندي ويدبران عليه حتى ضربه المتوكل فتوجها الى داره فاخذا كتبه باسرها وانرداها في خزانة سميت الكندية . ثم ان المتوكل تقدم اليهما في حفر النهر المعروف بالجعفري فاسندا امره الى احمد بن شاكر الفرغاني فغلط في فوهة النهر وجعلها اخفض من سائره فدافع محمد واحمد في امره وقاضاهما المتوكل ودعا سند بن علي وقال له ما ترك هذان الرديان شيئا من سوء القول الا وذكراك عندي به وقد اتلفا جملة من مالي في هذا النهر فاخرج اليه حتى نتأمله وتخبرني بالغلط فيه فاني اليت على نفسي ان كان الامر على ما وصف لي اني اصلبهما على شاطئه . فلما خرج سند من عند الخليفة توسل محمد واحمد به في انفاذ ارواحهما فقال سند لاذكرنكما بصالحة حتى تردا على الكندي كتبه . فحملت اليه . وكان ما كان من شفاعة سند وقتل المتوكل بعد شهرين وسلم محمد واحمد .

قال ابن النديم البغدادي في كتابه الفهرست: كان من تلامذة الكندي درافيه حسنويه ونفطويه وسلمويه . ومن تلامذته احمد بن الطيب واخذ عنه ابو معشر ايضا .

للكندي رسالة الى المأمون في العلة والعلول ورسالة في الغذاء والدواء المهلك ورسالة في الابخرة المصلحة للمجو من الاوباء ورسالة في الادوية المشفية من الروائح ورسالة في كيفية اسهال الادوية وانجذاب الاخلاط ورسالة في علة نفث الدم ورسالة في تدبير الاصحاء .

له رسالة في اشفية السموم ورسالة في علة بحارين الامراض الحادة ورسالة في كيفية الدماغ واخرى في علة الجذام ومثلها في عضة الكلب وكذلك في الموت الفجاءة وفي وجع المعدة والنقرس وفي اقسام الحميات وفي علاج الطحال الجاسي . وكتاب في الادوية المتحنة ورسالة في الفرق بين الجنون العارض وبين ما يكون من فساد الاخلاط ورسالة في الحيلة لدفع الاحزان وغيرها .

٢ ـ **امين الدولة ابن التلميذ** : هو موفق الملك امين الدولة ابو الحسن هبة الله بن ابي العلاء صاعد ابن ابراهيم بن التلميذ . كان اوحد زمانه في صناعة الطب . سافر في اول امره الى بلاد العجم وخدم فيها سنين طويلة . وصار ساعور البيمارستان العضدي بعد رجوعه الى بغداد وبقي كذلك الى حين وفاته. كان امين الدولة في خدمة المستضيء بأمر الله العباسي .

قال ابو الفرج بن توما : كان امين الدولة جالسا ونحن بين يديه اذ استاذنت عليه امراة ومعها صبي صغير فادخلت عليه وحين رآها بدرها فقال ان صبيك هذا به حرقة البول وهو يبول الرمل قالت نعم فقال يستعمل كذا وكذا وانصرفت . فسالناه عن العلامة الدالة على ذلك قال حين دخل رايته يولع باحليله ويحكه ووجدت انامل يديه مشققة قاحلة فعلمت ان الحكة لاجل الرمل وان تلك المادة الحادة الموجبة للحكة ربما لامست يديه عند ولوعه بالقضيب فتخل وتشقق فحكمت بذلك وكان موافقا .

ولامين الدولة من الكتب اقرابادينه العشرين بابا وشهرته وتداول الناس له اكثر من سائر كتبه.

— **سنان بن ثابت بن قرة الحراني** : كان سنان مثل ابيه كلاهما حاذقان في الصناعة وكان في خدمة المقتدر وخدم ايضا الراضي بالله . قال ابن النديم ان القاهر اراد سنان على الاسلام فهرب ثم عاد الى بغداد وتوفي مسلما سنة ٣٣١هـ . وهو الذي اشرف على انشاء البيمارستان المقتدري .

ذكر القفطي ان في بعض السنين وقعت اوبئة شديدة فارسل الوزير عيسى بن علي الى سنان يحثه على انفاذ مستطبين وخزانة من الادوية والاشربة

يطوفون بالسواد ويقيمون في كل صقع منه مدة تدعو الحاجة الى مقامهم ويعالجون من فيه ثم ينتقلون الى غيره ففعل سنان . ثم طلب منه عيسى الاهتمام بالسجون وانتداب اطباء يدخلون اليهم في كل يوم ويحملون معهم الادوية والاشربة ويزيحون علتهم فيما يصفونه لهم .

كان المقتدر اول من فرض على الاطباء تادية الامتحان للحصول على اجازة ممارسة المهنة وقد ناط ذلك بسنان يثبت من يصلح ويمنع من لا يصلح . والذي دعاه الى ذلك انه وصل اليه في عام ٣١٩هـ ان رجلا من اهل بغداد مات من جهل طبيبه وسوء تدبيره فامر المقتدر محتسبه ابراهيم بن محمد بن بطحا بمنع جميع الاطباء من ممارسة المهنة الا من امتحنه سنان واجازه وكتب له رقعة بذلك واحصى عدد الاطباء ببغداد فبلغ قرابة ٨٦٠ طبيبا خلا من اشتهر ولم يحتج الى الامتحان او من كان في خدمة المقتدر .

— **احمد بن الطيب السرخسي** : هو ابو العباس احمد بن محمد بن مروان السرخسي ممن ينتمي الى الكندي عليه قرأ ومنه اخذ . تولى الحسبة في ايام المعتضد وكان في الاول معلما له . كان سبب قتل المعتضد اياه انه افشى سرا افضى الخليفة به اليه واذاعه بحيلة .

له من الكتب الطبية كتاب النفس . وكتاب المدخل الى صناعة الطب نقش فيه حنين بن اسحق كتاب المسائل . ومقالة في البهق والنمش والكلف وكتاب في ماهية النوم والرؤيا وكتاب في العقل وكتاب الرد على جالينوس ورسالة الحشابات المسودة للشعر .

— **الفضل بن جرير التكريتي** : كان كثير الاطلاع في العلوم فاضلا في صناعة الطب حسن العلاج وخدم بصناعة الطب للامير نصر الدولة بن مروان . وللفضل بن جرير من الكتب مقالة في اسماء الامراض واشتقاقاتها كتبها الى بعض اخوانه وهو يوحنا بن عبد المسيح .

— **يحي بن جرير التكريتي** : كان كاخيه في العلم والفضل والتميز في صناعة الطب وكان موجودا سنة ٤٧٢هـ . وليحي من الكتب اختيارات في علم النجوم وكتاب في الباه ومنافع الجماع ومضاره .

— **ابن جزلة** : هو عيسى بن علي بن جزلة : كان ايام المقتدي بأمر الله . من المشهورين في علم الطب وعمله . له كتاب تقويم الابدان وكتاب ما يستعمل من القوانين الطبية في تدبير الصحة . كان نصرانيا ثم اسلم .

— **ابن ابي اصيبعة** : هو موفق الدين احمد بن ابي القاسم بن ابي اصيبعة ولد في دمشق عام ٦٠٠هـ — ١٢٠٣م ودرس الطب هناك ثم نزح الى مصر واستزاد وتتلمذ على ابن البيطار اشتغل في احد بيمارستانات القاهرة ثم انتقل الى خدمة الامير عز الدين في صرخد ومات هناك . له كتابه المشهور **عيون الانباء في طبقات الاطباء** وهو يضم تراجم الاطباء من عهد اليونان الى عصره ويعتبر مصدرا من المصادر الهامة في تاريخ الطب العربي .

— **ابن التلميس** : هو علي ابن ابي الحزم القرشي : احد اطباء دمشق المشهورين . كان اماما في علم الطب لا يداني استحضارا واستنباطا . له كتاب الشامل في الطب تدل فهرسته على انه يقع في ثلاثمائة سفر يبقى منها ثمانين وهي الان في القاهرة . له كتاب **شرح القانون** في عدة اسفار وله كتاب موجز القانون وكتاب شرح تقدمه المعرفة وكتاب شرح تشريح القانون من اجل المختصرات في التشريح . ولهذا الكتاب اهمية تاريخية قصوى لانه اول من وصف **الدورة الدموية الرئوية** وصفا علميا صحيحا فسبق مايكل سرفتس الذي يعزو الاوربيون له هذا الاكتشاف بثلاثة قرون .

— **موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي:**

ولد في بغداد عام ٥٢٠هـ — ١١٦٢م ودرس الطب واشتغل بتدريسه حينا من الزمن في دمشق ورحل الى مصر وتمكن من دراسة الهيكل العظمي دراسة دقيقة . قال في كتابه المعروف بالافادة والاعتبار — (اخبرنا ان في المقس تلاً عليه رمم كثيرة فرأيناه عظيما يكاد يكون ترابه اقل من الموتى به تحدس ما يظهر منهم للعيان بعشرين الفا . فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها واوضاعها ما افادنا علما لا نستفيده من الكتب . فمن ذلك عظم الفك الاسفل الذي اجمع الكل على انه عظمان بمفصل وثيق عند الحنك . والذي شاهدناه من حال هذا العضو انه عظم واحد ليس فيه مفصل ولا درز واختبرناها في اشخاص كثيرة تزيد على الفي جمجمة فلم نجده الا عظما واحدا .)

الف موفق الدين كتبا عديدة في الطب والفلسفة وردت منه اقوال كثيرة في نقد الكيمياء عند ابن سينا .

ولقد ظهر في فترة ازدهار الطب العربي بعض الاطباء في مصر منهم :

الحسن بن زيرك : كان طبيبا في مصر ايام احمد بن طولون . لما توجه ابن طولون الى دمشق سنة ٢٦٩هـ ودخل انطاكية لحقته هيضة من اكثار استعمال لبن الجواميس لم تنجع معها معالجة سعد بن توفيل فرجع ابن طولون غاضبا عليه وشكا ذلك الى الحسن بن زيرك فسهل عليه الامر ودبره الا ان ابن طولون اخلط في الاكل فزادت علته فجمع الاطباء وهددهم بضرب اعناقهم ان لم ينجحوا في تدبيره . فخرج الحسن واستولى عليه الغم وكان شيخا مسنا فخلط وكان يهذي بعلة ابن طولون حتى مات في اليوم الثاني .

التميمي : هو ابو عبد الله محمد بن سعيد التميمي: كان متميزا في صناعة الطب والاطلاع على دقائقها . له خبرة فائقة في تركيب المعاجين والادوية المفردة واستقصى معرفة ادوية الترياق الكبير الفاروق وركب منه شيئا كثيرا . صنف وركب ترياقا سماه مخلص النفوس قال هذا ترياق الفته بالقدس دافع لشرر السمومات القاتلة من الافاعي والثعابين والحيات المهلكة والعقارب والرتيلاء والهفايا . ساق مفرداته وصورة تركيبه في كتابه المسمى بمادة البقاء .

وللتميمي رسالة لابنه في صنع الترياق الفاروق وكتاب آخر في الترياق ومقالة في ماهية الرمد .

كان مقامه الاول في القدس ثم انتقل الى مصر واقام الى ان توفي فيها .

ابن الهيثم : هو ابو علي محمد بن الحسن بن الهيثم : من اهل البصرة انتقل الى الديار المصرية واقام بها الى آخر عمره . كان فاضل النفس قوي الذكاء متفننا في العلوم لم يماثله احد من اهل زمانه في في العلم الرياضي ولا يقرب منه . لخص كثيرا من كتب جالينوس في الطب وكان خبيرا باصول صناعة الطب وقوانينها وامورها الكلية الا انه لم يباشر اعمالها ولم تكن له دربة بالمداواة .

له كتاب في تقويم الصناعة الطبية وهو ثلاثون كتابا ، وكتاب في البرهان ، واخرى في فرق الطب، وفي الصناعة الصغيرة ، وفي التشريح وفي القوى الطبيعية وفي منافع الاعضاء ، وفي المني ، وفي الصوت ، وفي العلل والاعراض ، وفي اصناف الحميات ، وفي البحران ، وفي النبض الكبير ، وفي قوى الادوية المفردة ، وفي قوى الادوية المركبة ، وفي حيلة البرء ، وفي حفظ الصحة ، وفي جودة الكيموس ـ وردائته وفي امراض العين وفي ايام البحران وفي استعمال الفصد لشفاء الامراض ، وغيرها .

وقد كتب ابن الهيثم في غير الطب الكثير وان ما كتبه لايدانيه فيه احد من الجودة .

علي بن رضوان : هو ابو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر . ولد ونشا في مصر وبها تعلم الطب وكان عمره اربعة عشرة عاما واشتهر بالطب وكان عمره في الثانية والثلاثين . حدث في زمانه الغلاء العظيم وتبعه وباء شديد قيل ان السلطان كفن من ماله ثمانين الف نفس .

كان ابن رضوان كثير الرد على معاصريه من الاطباء واكثر ذلك على حنين ابن اسحق وابي فرج بن الطيب وابي بكر الرازي . له من الكتب شرح كتاب العرق لجالينوس ، وشرح كتاب الصناعة الصغيرة ، وشرح النبض الصغير ، وله رسالة في علاج الجذام ، وكتاب الاصول في الطب وكتاب في كيفية تعليم صناعة الطب ، وكتاب تفسير ناموس الطب لابقراط وكتاب في عمل الاشربة والمعاجين ، وكلام في الادوية المسهلة ومقالة في الباه ، واخرى لاحصاء عدد الحميات وجواب مسائل في النبض ، وجواب في الاورام ورسالة في علاج صبي به داء الفيل والكثير غيرها .

الشيخ السديد رئيس الطب : هو القاضي السديد ابو المنصور عبد الله ابن الشيخ السديد ابي الحسن

علي . كان عالما بصناعة الطب جيد المعالجة كثير التجربة حسن الاعمال باليد . خدم الخلفاء المصريين من ايام الامر باحكام الله الى آخر ايام العاضد بالله . كان رئيسا على سائر المتطببين الى حين وفاته .

ضياء الدين ابن البيطار : هو ابو محمد عبد الله بن احمد المالقي النباتي . ويعرف بابن البيطار اوحد زمانه وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختياره ومواضع نباته ونعت اسمائه . سافر الى بلاد الروم ولقي جماعة يعانون هذا الفن واخذ عنهم معرفة نبات كثير وعاينه في مواضعه . واجتمع ايضا في المغرب وغيره بالفضلاء في علم النبات . كان في خدمة الملك الكامل محمد بن ابي بكر بن أيوب وجعله رئيسا على العشابين واصحاب البسطات . ولم يزل في خدمته الى ان توفي فتوجه الى القاهرة وخدم الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل . توفي ابن البيطار في دمشق سنة ٦٤٦هـ .

له من الكتب كتاب **الابانة** والاعلام وكتاب **الجامع في الادوية المفردة** لا يوجد اجود منه . وكتاب المغني في الادوية المفردة وهو مرتب بحسب مداواة الاعضاء الآلمة . وكتاب الافعال الغريبة والخواص العجيبة .

الفصل السادس

الطب في الاندلس

جاء في طبقات الامم لصاعد الاندلسي (وكانت الاندلس قبل تغلب بني امية عليها خالية من العلم لم يشتهر عند اهلها الاعتناء به ولم تزل على ذلك عاطلة من الحكمة الى ان افتتحها المسلمون في شهر رمضان سنة ٩٢هـ فتمادت على ذلك ايضا لا يعني اهليا بشيء من العلوم الا بعلوم الشريعة وعلم اللغة الى ان توطد الملك لبني امية بعد عهد اهلها بالفتنة فتحرك ذوو الهمم منهم لطلب العلوم وتنبهوا لاشارة الحقائق) .

كانت الحقبة الاولى للفتح العربي في الاندلس مضطربة بعض الاضطراب اذ لم تترك المنازعات المحلية كثيرا من الوقت للعناية بتنمية الحياة العقلية . وهذا هو السبب في تاخر ازدهار العلم في الاندلس بعض الوقت عن العلم العربي في المشرق ولكن قرطبة اصبحت في ظل عبد الرحمن الثاني (٢٠٦ – ٢٣٨هـ) – (٨٢١ – ٨٥٢م) مركزا رائعا للنشاط الفكري والحضاري ، وتبوات مقاما عاليا في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث ٣٠٠–٣٥٠هـ (٩١٢–٩٦١م) الذي اعتبر انذاك حامي العلوم

والآداب . وتزايدت هذه النهضة في حكم ابنه وخليفته الحكم الثاني ٣٥٠-٣٦٦هـ (٩٦١-٩٧٦م) الذي ابى الا ان يكون هو من العلماء فارسل من الوفود الكثير الى العالم الاسلامي يجوبون الاصقاع لابتياع الكتب او استنساخها فوفق في جمع مكتبة تقدر محتوياتها باربعمائة الف كتاب كما كانت فهارس كتبها تملأ اربعة واربعين جزءا .

اشتهر في ذلك العهد عدد من الاطباء في الصناعة والتاليف واضافوا لما اقتبسوه من الحركة العلمية في بلاد المشرق خلاصة تجاربهم ، وظهر بينهم من تحمل مؤلفاتهم اثر الاستقلال والطابع الشخصي .

قال القاضي صاعد (كان غرض اكثرهم من علم الطب قراءة الكتانيش المؤلفة في فروعه فتقل دون الكتب المصنفة في اصوله ليستعجلوا بذلك ثمر الصناعة ويستفيدوا به خدمة الملوك في اقرب مدة الا افرادا منهم رغبوا عن هذا الغرض وطلبوا الصناعة وقراوا كتبها على مراتبها) ، فاول من اشتهر بالطب في الاندلس **احمد بن ابا** :

من اهالي قرطبة وذوي الاصول والمكاسب . كان صهرا لبني خالد وهي اسرة عربية لها دور كبير في الاندلس خاصة مع الشاعر عمر بن حفصون ، خدم ايام الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط .

كان طبيبا حاذقا ومجربا ، لا ياكل الا من زرعه ولا يركب الدواب الا من نتاجه ولا يلبس الا من كتان ضيعته ولا يستخدم الا من ابناء عبيده .

اسحق بن عمران :

ويعرف باسم ساعة . بغدادي الاصل مسلم النحلة . استجلبه زيادة الله بن الاغلب التميمي بثلاثة شروط : راحلة اقلته ، والف دينار لنفقته ، وكتاب امان انه متى احب الانصراف الى وطنه انصرف . كان طبيبا حاذقا متميزا بتاليف الادوية المركبة بصيرا بتفرقة العلل . الف كتابه المعروف بنزهة النفس ، وكتابا في المالخوليا وكتابا في الفصد وكتابا في النبض ومقالة في علل القولنج وانواعه وشرح ادويته .

له مع زيادة الله محنة انتهت بصلب اسحق بعد ان دس عليه حدث يهودي اندلسي كان زيادة الله قد استقربه .

ابن الجزار :

ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن ابي خالد ويعرف بابن الجزار . من اهل القيروان . طبيب بن طبيب وعمه ابو بكر طبيب . كان قد اخذ لنفسه ماخذا عجيبا في سمته ـ وهديه ولم يحفظ عنه في زلة قط ولا اخلد الى لذة .

كان قد وضع على باب داره سقيفة اقعد فيها غلاما له يسمى (برشيق) أعد بين يديه جميع المجونات والاشربة والادوية فاذا رأى القوارير بالقداة أمر بالجواز الى الغلام وأخذ الادوية منه نزاهة بنفسه ان يأخذ من أحد شيئا .

مات عن نيف وثمانين سنة ووجد له اربعة وعشرين الف دينار وخمسة وعشرين قنطارا من كتب طبية .

لابن الجزار هذا كتاب في علاج الامراض يعرف بزاد المسافر وكتاب الاعتماد للادوية المفردة والبغية للادوية المركبة وكتاب العدة لطول المدة وهو اكبر كتبه . وله كتاب **طب الفقراء** رسالة في المقعدة واوجاعها . وكتاب البلغة في حفظ الصحة وكتاب المختبرات ومقالة في الحمامات .

ابن جلجل :

هو ابو داود سليمان بن حسان . خدم بالطب هشام المؤيد بالله . كان طبيبا فاضلا خبيرا بالمعالجات له بصيرة واعتناء بقوى الادوية المفردة . له من الكتب كتاب طبقات الاطباء والحكماء وهو من المصادر الهامة وكتاب تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس وكتاب ما فات ديسقوريدس ذكره من اسماء النبات ومقالة في ادوية الترياق ورسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين .

الزهراوي :

ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي . نسبة الى مدينة الزهراء من ضواحي قرطبة . كان طبيب (الحكم الثاني) . يعتبر كتابه **التصريف لمن عجز عن التاليف** موسوعة في الطب والجراحة جعله على ثلاثين مجلدا وهو كتاب تام في معناه يشتمل على جميع فروع الطب المعروفة في ذلك الزمان . كان لهذا الكتاب اعظم الاثر في العالم اللاتيني لمدة خمسة قرون فقد ترجم مرات عديدة وكان المرجع في الطب . يختص المجلد العاشر من كتاب التصريف بالجراحة . جعل الباب الاول خاصا بالكي ويقع في ستة وخمسين فصلا والثاني في الشق والبط والفصد وفيه وصف لعمليات استخراج حصاة المثانة بالشق والتفتيت . وفصل عن البتر في حالات الموات وعن علاج الجروح وخمجها (الانتان) ويقع في سبع وتسعين فصلا . والثالث خاص بالكسور والخلوع ويقع في خمسة وثلاثين فصلا فيه وصف للشلل الناتج عن كسر فقرات الظهر وفصل عن كسر عظم الحوض وفيه فصول في تعليم القوابل واخراج الجنين الميت وصور الالات التي يحتاج اليها في ذلك .

يمتاز كتاب التصريف بكثرة رسومه ووفرة اشكال الالات التي كان الزهراوي يستعملها واكثرها من استنباطه .

لقد كان الزهراوي اعظم الجراحين العرب . فهو اول من رفع من شأن الجراحة . جاء في كتابه (والسبب الذي لا يوجد صانع محسن في زماننا هذا لان صناعة الطب طويلة وينبغي لصاحبها ان يرتاض قبل ذلك في علم التشريح حتى يقف على منافع الاعضاء وهياتها ومزاجها واتصالها وانفصالها ومعرفة العظام والاعصاب والعضلات وعددها ومخارجها والعروق والنوابض والسواكن ومواضع مخارجها لانه من لم يكن عالما بما ذكر من التشريح لم يخل ان يقع في خطا يقتل الناس به كما شاهدت كثيرا ممن تصور في هذا العلم وادعاه بغير علم ولا دراية وذلك اني رايت طبيبا جاهلا قد شق على ورم خنزيري في عنق امراة فاصاب شريانات العنق فنزف دم المراة حتى سقطت ميتة بين يديه . ورايت طبيبا آخر قد تقدم في اخراج حصاة لرجل قد طعن في السن وكانت الحصاة كبيرة فتهور فاخرجها بقطعة من جرم المثانة فمات الرجل الى نحو ثلاثة أيام وكنت قد دعيت لاخراجها فرايت من عظم الحصاة وحال العليل ما قدرت عليه ذلك) .

(ولهذا يا بني ينبغي لكم ان تعلموا ان العمل باليد ينقسم قسمين :

عمل تصحبه السلامة وعمل يكون معه العطب في اكثر الحالات وقد نبهت في كل مكان يأتي

من هذا الكتاب العمل الذي فيه الشرر والخوف فينبغي لكم ان ترفضوه وتحذروه لئلا يجد الجاهل السبيل الى القول والطعن فخذوا لانفسكم بالحزم والحيطة ولمرضاكم بالرفق والتثبيت واستعملوا الطريق الافضل المؤدي الى السلامة والعاقبة المحمودة وتنكبوا الامراض الخطرة العسرة البرء وتزهدوا انفسكم عما تخافون ان يدخل عليكم الشبهة في دينكم ودنياكم فهو ابقى لجاهكم وارفع في الدنيا والاخرة لاقداركم) .

اسرة ابن زهر :

هذه الاسرة مميزة بين اطباء الاندلس لتوارث ابنائهم صناعة الطب ولنبوغهم جميعا فيها .

فعميد الاسرة هو عبد الملك بن الفقيه محمد بن مروان بن زهر الايادي الاشبيلي . كان فاضلا في الصناعة خبيرا باعمالها مشهورا بالحذق . رحل الى المشرق ودخل القيروان ومصر وعانى الطب هناك زمنا طويلا ثم رجع الى الاندلس وقصد مدينة دانية وكان ملكها آنذاك (مجاهد) فاكرم عبد الملك ثم انتقل الى اشبيلية ولم يزل بها حتى توفى .

زهر بن عبد الملك :

سار على نهج ابيه . له علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب واطلاعه على دقائقها كان

في دولة المرابطين وقد اشتغل وهو صغير في ايام المعتضد بالله عباد بن عباد . وفي زمانه وصل كتاب القانون لابن سينا الى المغرب وقيل ان رجلا من التجار جلب من العراق الى الاندلس نسخة بولغ في تحسينها واتحف بها زهرا فلما تاملها ذمها وطرحها ولم يدخلها خزانة كتبه وكتب مقالة في الرد على ابن سينا .

له كتاب الخواص وكتاب الادوية المفـــردة وكتاب الايضاح بشواهد الافتضاح وكتاب حـل شكوك الرازي وكتاب النكت الطبية ومقالة في بسطه لرسالة يعقوب بن اسحق الكندي .

عبد الملك بن زهر :

وهو ثالث جيل في هذه العائلة لحق بابيه في الصناعة وكان جيد الاستقصاء في الادوية المفردة والمركبة . ذاع صيته في الاندلس واشتغل الاطباء بمصنفاته ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة اعمال صناعة الطب .

دخل المهدي الى الاندلس في زمان عبد الملك بن زهر ومهد الدعوة لعبد المؤمن بن علي فلما انتشرت كلمته وملك البلاد اختص عبد الملك بن زهر لنفسه وجعل اعتماده عليـــه في الطب ، فالف له كتـــاب الترياق واختصره عشاريا واختصره سباعيا ويعرف بترياق الاتلة .

روى عن الباجي انه قال : كان عبد الملك بن زهر كثيرا ما ياكل التين ويميل اليه وكان زميله الطبيب الفار لا يتغذى منه بشيء قال الفار لعبد الملك لابد ان تعـرض لك نفلـة (دبيلـة) صعـبة بمداومتك اكل التين فرد عبد الملك للفار لابد لكثرة حميتك وكونك لم تاكل شيئا من التين ان يصيبك الشتاج . فلم يمت الفار الا بعلة التشنج وعرض كذلك لعبد الملك دبيلة في جنبه مات فيها ، وهذا ابلغ ما يكون من تقدمة الانذار .

لعبد الملك كتاب التيسير في المداواة والتدبير الفه لابن رشد وكتاب الاغذية الفه لعبد المؤمن بن علي وكتاب الزينة الفه لابنه محمد ومقالة في علل الكلي ورسالة في علتي البرص والبهق .

العفيف بن زهر :

وهو محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن الفقيه محمد . ولد في اشبيلية ونشأ فيها واخذ صناعة الطب عن ابيه وتميز فيها . لم يكن في زمانه اعلم منه بصناعة الطب خدم دولة المرابطين ثم دولة الموحدين وهم بنو عبد المؤمن . كانت وفاته سنة ست وتسعين وخمسمائة هجرية (١١٩٧م) وقـد ذهب الى مراكش لزيارتها فمات ودفن فيها .

له من الكتب الترياق الخمسيني ، الفـــه للمنصور ابي يوسف يعقوب .

قال القاضي التاجي : كان عبد الرحمن بن يوجان وزير المنصور يعادي محمد بن عبد الملك بن زهر ويحسده لما يرى من عظم حاله وعلو منزلته وعلمه فاحتال عليه في سم صيره مع احد من كان عند الحفيد فاكل منه هو وبنت اخته (وهي طبيبة نساء المنصور) وماتا جميعا .

ابن الحفيد :

وهو عبد الله بن محمد بن عبد الملك ، جميل الصورة مفرط الذكاء محمود الطريقة كثير الاعتناء بصناعة الطب والنظر فيها . اشتغل على والده ووقفه على كثير من اسرار علم هذه الصناعة وعملها . وكان الخليفة ابو عبد الله محمد الناصر بن المنصور يأخذ برايه كثيرا ويحترمه .

لما توجه عبد الله بن محمد الى المهدية واجتمع بالخليفة الناصر خدمه على ما جاءت به العادة فاكرمه الناصر اكراما كثيرا ، وكان اذا حضر مجلس الناصر جلس بجانبه ويتلوه عيسى بن عبد العزيز الجزولي صاحب المقدمة المعروفة بالجزولية .

ولد ابن الحفيد في اشبيلية سنة سبع وسبعين وخمسمائة ومات مسموما سنة اثنتين وستمائة في مدينة سلا ودفن فيها .

ابن البيطار :

ابو محمد عبد الله بن احمد بن البيطار المالقي : اوحد زمانه في معرفة النباتات سافر الى بلاد الاغارقة واقصى بلاد الروم والمغرب واجتمع بكثير من الذين يعانون هذا الفن وعاين منابته وتحققها . وعاد بعد اسفار وخدم الكامل بن العادل فكان يعتمد عليه في الادوية والحشائش وجعله رئيسا على سائر العشابين واصحاب البسطات في الديار المصرية . توفي في شعبان سنة ست وابعين وستمائة (١٢٤٨م) وله في المصنفات كتاب الجامع في الادوية المفردة ، وكتاب المغني وكتاب الابانة والاعلام بما في المنهاج من الخلل والاوهام وكتاب الافعال العجيبة والخواص الغريبة . والكتاب الاول اشهر من ان يذكر ففيه وصف لالف واربعمائة نوع من العقاقير منها ثلاثمائة لم يسبقه الى وصفها أحد .

الفصل السابع
عصر النقل من العربية الى اللغات الاجنبية

من المعروف ان الاهمية العالمية للعلم العربي ترجع الى انه نقل كنوز العلوم القديمة من المغرب والمشرق الى الشعوب المسيحية في غربي اوربا بعد اخضاع تلك العلوم لتنمية وانضاج هامين .

كتب غوستاف لوبون في هذا وقال (حين كانت الحضارة الاسلامية في اسبانيا ساطعة كانت مراكز الثقافة في الغرب ابراجا يسكنها مستنورات متوحشون يفخرون بانهم لا يقرأون وكان اكثر رجال النصرانية معرفة هم الرهبان الذين يقضون اوقاتهم في ديارهم في دراسة كتب الاقدمين النفيسة .)

ان مظهرا من مظاهر الاستفاقة لم يتحقق عند الشعوب المسيحية اللاتينية على عهد شارلمان، يبدو هذا المظهر جليا في كتب (الوسيط) سنة ٧٣٥–٨٠٤م وكتب تلميذه هرابانس مورس اسقف فولدا والمعلم الاول لجرمانيا سنة ٧٧٥–٨٥٦م لكن سرعان ما اخمدت القلاقل هذه الاستفاقة في القرنين

التاسع والعاشر للميلاد . لتعود في اوائل الالف الثاني بصورة تدريجية .

كانت الاديرة المنفردة حتى في احلك القرون الوسطى بمعزل عن الطرق التي تسلكها الجيوش والمتسلطون وكانت الاديرة القوية النفوذ تحتفظ في مكتباتها ببعض الكتب التي لا تعكس الا صورة شاحبة لمجد العلم الحقيقي اضافة لما بها من كثرة الاخطاء . هذا المستوى الحضاري في اوربا جعل حركة الترجمة محدودة جدا فيما عدا ثلاثة مراكز احدها في جنوبي ايطاليا (مدرسة سالرنو) والآخر في صقلية والثالث في الاندلس اضافة لمحاولات اخرى اقل شانا . فقد قدمت ارساليات عديدة اكثرها من شرق ايطاليا الى القسطنطينية بها عدد من العلماء العاملين الذين انهمكوا في اعمال الترجمة مثل بركنديو الذي ترجم بعض كتب جالينوس وكتاب نبع الحكمة ليوحنا الدمشقي، وليوتوسكوس الذي ترجم كتاب تعبير الاحلام لابن سيرين .

رجحت كفة الترجمة من العربية في سالرنو بعد ان تعززت الاتصالات بين العالمين العربي والمسيحي وازدهرت في اواسط القرن العاشر للميلاد . قيل ان يهوديا اسمه شبطاي بن ابراهيم بن يول وقع أسيرا عند العرب وسيق الى مدينة بالرمو حيث تعلم العربية ثم استطاع بعد ذلك العودة الى مسقط

راسه وان هذا الشخص ساهم بقوة في انشاء مدرسة سالرنو . وصنف بالعربية بعض الكتب الطبية اشهرها (الكتاب النفيس) . وقيل ان تاجرا من قرطاجنة موهوب بالطب وفق لتوثيق اتصاله بامير سالرنو اكمل دراسته في الطب في وطنه وجمع كتبا كثيرة تتعلق بفنه ثم ابحر الى جنوب ايطاليا آخذا معه الشحنة النفيسة من المخطوطات، الا ان عاصفة دهماء سادفته في البحر فاغرقت قسما من كنوزه الادبية ، فلما قدم الى سالرنو اعتكف في الدير البندكيني في مدينة مونتكاسينو وسمى نفسه قسطنطين وانهمك في ترجمة ما تبقى معه من العربية الى اللاتينية وقدمه للامير . لا شك في ان عمل هذا التاجر كان نواة لمدرسة سالرنو الطبية التي اتجهت فجاة الى دراسة الطب العربي فحصلت بسببه على شهرة اكبر من ذي قبل ودفعت جميع مدارس الطب الاخرى الى التجديد . لقد ذكر ان قسطنطين ترجم قسما كبيرا من الكتاب الملكي لعلي بن العباس وكتاب المسافرين لابن الجزار وكتاب طب العيون لحنين ابن اسحق وكثيرا من كتب اسحق في البول والحميات والحمية والادوية المفردة ، كما ترجم من العربية كتبا ذات اصل يوناني مثل تقدم المعرفة والصناعة الكبيرة والاثارة . وذكر بطرس دياكونس ٢٤ كتابا طبيا آخر من ترجمة قسطنطين .

وقد اثر قسطنطين في احد تلامذته ايونس القاسي ١) وهو من اصل عربي ايضا فساعده في ترجمة الكتاب الملكي . في يوحنا بلاتوريوس الاصغر فصنف كتابي (الصناعة الصغيرة) و (تدبير البول٢) .

ومن تاثير العرب في مدرسة سالرنو الطبية هو اعتماد كتاب (المرشد التشريحي للحيوان) وكتاب (التشريح) وهما من ترجمة قسطنطين ايضا .

و في كتاب الادوية لنيقولا السالرني رتبت الادوية على حروف المعجم خاصة النباتات ومستخرجاتها وبها الكثير من المواد المستقاة من العرب .

وفي طب العيون الف بنافنتو كراسو كتابا سماه (فن وصناعة العين) اثبت سكاليتسي ان هذا الطبيب الايطالي من المشتركين في تاسيس مدرسة سالرنو وهو وثيق الاتصال بالعرب . لقد احصي عدد التراجمة في سالرنو منذ قيامها الى حين سقوطها فبلغ ثلاثة وعشرين .

للحروب الصليبية (٤٧٢ ـ ٦٧١هـ) (١٠٩٧ ـ ١٢٧٢م) دور في نقل الثقافة العربية الى الغرب . فعلى الرغم من حالة الحرب المستمرة بين الجانبين وجد بعض الاذكياء الفرصة للاستفادة من حضارة العرب فلقد دلت الاخبار على وجود اتصال مستمر بين اطباء ومرضى الطرفين

المتحاربين خاصة بين عام ٥٣٥-٥٣٨هـ (١١٤٠-١١٤٣م) حينما فترت حدة القتال .

قال الامير اسامة بن مرشد بن منقذ في كتاب الاعتبار (ان عمه ارسل مرة طبيبه الخاص المسمو ثابت لمعالجة رجل وامراة في قلعة يحتلها الصليبيون استجابة لطلب حاميها) .

ونشط (ادلارد دي باث) ١١١٦-١١٤٢م على اثر رحلة قام بها الى المشرق بترجمة كثير من الكتب العربية الى اللاتينية فقد عرف في انطاكية حيث ناقش مجموعة من العلماء في التشريح الفني ، وصنف كتابا في مسائل الطبيعة يغلب عليه التاثير العربي ايضا . وقد ظهر مترجم آخر هو ستيفان الفيلسوف ويسمى اتين الانطاكي وترجم الكتاب الملكي لعلي بن العباس واضاف اليه كشفا عربيا يونانيا للمصطلحات الفنية .

ان الاثر الذي تركته صقلية في نقل الثقافة اعمق من اثر سالرنو والحروب الصليبية ، فلقد استولى عليها العرب سنة ٨٢٧ الى سنة ١٠٩٢ وانشاوا خلالها اول مدرسة للطب في اوربا . فدخلت الثقافة العربية الى هذه الجزيرة ونقل عنها الى اللاتينية والاغريقية الكثير من العلوم السائدة آنذاك من جملتها كتاب بطليموس للمحرمات ترجمة الامير اوجين . وقد تاثر الملك فردريك الثاني عند

اقامته بلبنان بالمدارس التي تفرعت عن المدرسة النظامية فاسس اول جامعة للدولة (جامعة بلنسية ١٢١٢-١٢١٤م) واهتم بعلم الحيوان في كتابه الذي يشمل على ستة اجزاء وتاثير المصادر العربية واضح بها . واهتم الملك فردريك ايضا باراء المفكرين من مسلمي الاندلس فوجه الى سلطان الموحدين عبد الواحد مسائل لينقلها الى هؤلاء العلماء وقد حفظت الاجوبة في كتاب (الاجوبة على الاسئلة العسقلية) . وترجم تيودورس الانطاكي لهذا الملك كتاب الفه عربي اسمه (المؤمن) وكتاب مختصر الحيوان لابن سينا وكتاب نواميس الطبيعة المشتمل على كتاب في البول . وكان في خدمة كارلو دانجيو يهودي اسمه فرج بن سليم الفرخي ترجم كتاب الحاوي للرازي وكتاب جالينوس في الطب التجريبي الذي سبق ان ترجمه الى العربية حنين بن اسحاق ، وكتاب جراحة ماسويه ، كما ترجم موسى بانورميتان من العربية كتاب ابقراط في الطب البيطري وترجم الدوبراندينو من العربية كتابا اكثر من طب ابن سينا ومن علي بن العباس وحنين ابن اسحاق والرازي .

ولعل حركة نقل العلم العربي الى العالم المسيحي كانت في الاندلس اعمق تغلغلا واشد قوة واطول عهدا من اي مكان آخر فالتسامح العظيم

الذي تحلى به الخلفاء الامويون وملوك الطوائف بل حتى الموحدون في نهاية حكمهم انبسط ظله على جميع الشعوب في الاندلس وسرى على العلماء المسيحيين الذي اقبلوا من ابعد الاقطار لتلقي العلوم في المدن المزدهرة لذلك القطر الساحر .

ففي طليطلة دعا دون ريمون اسقف طليطلة الى مدينته مختلف العلماء وامر بعمل التراجم وادخل دراستها في مناهج المدارس المسيحية ، وقامت في قطلونية نهضة علمية محسوسة انعشت فيها حركة نقل الافكار والمعارف العربية .

من المترجمين في العلب الذين يستحقون الاهتمام في تاريخ الاندلس **جيراردو دي كريمونا** (١١١٤ — ١١٨٧م) . كان في طليطلة ويعد من اشهر المترجمين من العربية ، راس مدرسة للمترجمين تعمل في طليطلة تحت حماية الحكومة وتعضيدها . ذكر سارطون قائمة تشمل ٨٧ كتابا ترجمها دي كريمونا من العربية فيها الكتب الطبية التالية :

كتاب الكندي في معرفة قوى الادوية المركبة . والكناش لابن ماسوية . والمنصوري للرازي . والجراحة للزهراوي والقانون لابن سينا والادوية المركبة لابن الوافد وشرح جالينوس لابن رضوان .

وترجم **موسى بن طبون** كتاب السماع وكتاب

النفس . والقانون والارجوزة لابن سينا وزاد المسافرين لابن الجزار والاقرباذين للرازي .

وترجم **اصطفان** (١٢٣٢م) الاقرباذين لابن الجزار كما ترجم ارمنجو في النصف الثاني من القرن الثالث عشر كتابا في تدبير الصحة والاخلاق والارجوزة لابن سينا مع شرحها لابن رشد ومقالة في تدبير الصحة لسلطان بابل ومقالة في السموم .

ولسليمان بن يوسف تراجم لكتب ابن سينا ولشمطوب بن اسحاق ترجمة كتاب التصريف للزهراوي وكتاب المنصوري للرازي .

وترجم **ناثان المتوي** : القانون لابن سينا والحكم لموسى بن ميمون وطب الفيون لعمار بن علي .

وترجم **جيوفاني دي كابوا** الى الايطالية كتاب لاغلية لموسى بن ميمون ، وسيمون دي جنوفا كتاب الاقرباذين لابي القاسم .

وللطبيب البرتغالي بطرس هسبانس الذي تقلد البابوية باسم جيوفاني الحادي والعشرين ، وبرونيتو لاتيني الذي كان سفيرا من مدينة فلورنسا الى طليطلة عند الفونس الحكيم ١٢٦٠م ، كتابات في الطب يبدو التاثير العربي واضحا وقويا فيها .

وترجم يهودا سلمون الحارزي كتبا لحنين بن اسحق وكتابا لشمشون طيون في امراض النساء ، كما ترجم ابراهيم بن شمطوب المعروف بالترتوزي كتابين في الطب لابن سينا .

الفصل الثامن
ماذا قدم العرب للطب

ان ما وصلنا عن طب عرب وادي الرافدين القدماء ليس الا جزءا يسيرا مما كتبه وان المستقبل لا محالة آت بالمزيد . ولحين تحقق ذلك فان الخوض في ذكر ما قدموه في الطب لا يعكس من الواقع الا القليل .

والاستعراض خاطف لمستوى الطب انذاك يفيد في مقارنة ما عندهم بما وصله العرب اللاحقون على اعتبار ان ما ورد في طبهم اصيلا لاننا لا نعرف عن حضارة اسبق منهم ينسب لها هذه الاصالة ولا مصدرا اخر يفترض انهم اقتبسوا منه .

لقد وردت اراء طبية شريحة واخرى تشريحية في النصوص الطبية والمدونات الاخرى تدل على ان العراقيين القدماء حققوا انجازات طبية غير قليلة .

ففي التشريح جاء ذكر الاحشاء الداخلية بقدر من التفصيل يدل على رؤيتها في الانسان وليس من مقارنتها مع الحيوان فالمعدة مثلا قسمه مقابل جوف المعدة (اللبي) ورأس الفؤاد (راسي لبي) وبواب المعدة (بابي اكلي) . واختص الكبد بقدر وافر من التفصيل فقسم الى فص ايمن وآخر ايسر وثالث امامي وقسم

كل قسم الى مناطق . فترض ان كل منطقة منها تمثل جزءا من الجسم وتعكس الحالة الصحية له وتدل على نوع المرض الذي فيه . وقد ادى هذا الاستهداف الى اعتبار الكبد اهم عضو في الجسم .

لقد ذكر الطحال ومكانه في البطن . والكليتين والحالبين والمثانة والبروستات والرحم وابهر البطن والوريد الاجوف . ومن الطريف ان الاخير قد سمي بالرابض وهذا دليل على مشاهدة بطء سير الدم فيه وانه لا ينبض . هذه الملاحظة تعني ان حالة الوريد قد وصفت في مختص حي وهو امر له اهمية كبيرة .

وقد ذكر القلب بتحيز من الاستهداف اذ جاء ان هناك قلب ايمن وقلب ايسر وقمة القلب وان قمة القلب والقلب الايسر تقعان امام القلب الايمن . وهذه ايضا حقيقة تشريحية تدل على ان المشاهدة جرت على الانسان وليس على الحيوان . لقد ذكرت الرئتين ومجرى الهواء كذلك .

ومن الطريف ايضا ان نعرف ان قدماء سكان وادي الرافدين سموا الشريان والوريد باسميهما اشرتانو . وريدو وعرفوا ان الشريان هو الذي ينبض .

وفي التشخيص والانذار تلفت الانتباه دقة الملاحظة في الممارسة السريرية عندهم فقد ذكر ان

الشخص المصاب بالتهاب الرئة تصبح حالته خطرة عندما يزرق لونه وانه قد يموت . وكذلك من يصاب بالم مفاجيء خلف القص ولا يزول عنه فانه يموت بعد ايام قلائل . وقد عرفوا نوع انسداد الاسماء الذي يميت ومييزوه عن النوع الذي تفكه الحقنة الشرجية وهذا ما نعرفه الان بالتواء القولون السيني . وذكروا اضطراب الدوران في الاطراف وعلامة النوع الخطر منه والذي يؤدي الى الموت . وعرفوا ان الطاعون من الامراض المميتة وسموه (الموتان) .

لقد عرفوا تورم القدم عندما يكون سببه **الضرب** عن التورم المسبب عن الالتهاب او تخثر الاوردة . وعرفوا خطر الخمج عندما يصيب الجروح وازدياد هذا الخطر عندما يصل الى العظم .

وقد استنتجوا العلاقة بين تقيح الاسنان ووجع المفاصل وفرقوا حبة بغداد عن غيرها من البثور الجلدية وعرفوا انها تحتاج لفترة تبلغ السنة كي تشفى .

اما في المعالجة فانهم توسعوا في معرفة انواع الاعشاب الطبية وخصائصها والنباتات وما يستخلص منها والمعادن واملاحها واستعملوا كلا في موضعه وما زال قسم منها على ذلك الاستعمال لحيننا الحاضر .

واختصت الجراحة بقلة ما كتب عنها ولكن جاء ذكر لبعض الخراج وازالة شقف العظم وخياطة الجرح واستئصال ظفيرة العين وحشو الانف وقلع السن وتوسيع تضيق الاحليل وتفريغ المثانة وعمل الحقنة الشرجية وادخال الدواء الى صماخ الاذن بانبوب مجوف . وقد عثر على بعض الالات التي استعملت لهذه الغايات ووصف البعض الاخر .

لقد ادرك العراقيون القدماء ان قسما من الامراض ينتقل بالهواء واخر بالماء والاكل وثالث باللمس ورابع بالجنس وافترضوا ان سبب قسم منها عقاب الآلهة على الذنوب ولعلهم قصدوا بذلك الامراض النفسية والعقلية ، كما ادركوا ان الحشرات تنقل الامراض فمثلوا رجال الله المرض على شكل ذبابة .

ولم يتغير اسلوب تعليم الطب كثيرا عما سنه العراقيون الاوائل كانت البداية في دراسة الالواح اولا ثم تعلم كتابة الوصفات ثم التدريب مع الاطباء على المرضى واخرها الاجازة بعد اداء القسم امام الاستاذ ، اي باعتراف الضمني بقدرة التلميذ على ممارسة المهنة .

ولقد كان في ممارسة مهنة الطب شيء من التخصص اذ يستدعي الكاشف في البداية ليشخص

المرض ويطلو بعض الادعية ثم يعقبه الاسي (الاسو) يصف الدواء استنادا على ذلك التشخيص وهو الذي يحضر الدواء بنفسه ويتابع سير المرض ويستشير (الجراح) اذا لزم الامر .

واخيرا لم يفت اولئك الناس الالتفات الى ما للطبيب من اثر في مهنته فاشترطوا ان يكون الطبيب حليقا نظيف الملابس يحمل عند زيارة المريض حقيبة فيها من الادوية والالات والاربطة ما يحتاجه في عمله ، ويعلن عن قدومه بانه مستعين بالالهة على شفاء مرضاه .

هذا ما قدمه العرب الاقدمون للطب في وادي الرافدين ، وهو امر اقل ما يقال فيه انه ارسى قواعد المبنة في تعليمها وممارستها واديها . ولا شك ان القدم الذي حدث في الطب بالحضارات التي ازدهرت فيما بعد مدين لحضارة وادي الرافدين بالكثير مما اقتبسته عنها .

وعطاء العرب كثير في الطب فهم بعد فترة السبات التي انطفأت اثناءها شعلة حضارتهم عادوا بعد ظهور الاسلام الى حمل مشعلها من جديد ، فازدهر الطب مثل ازدهار بقية فروع المعرفة ، وبلغ الذروة ثانية بين منتصف القرن الثامن وبداية القرن الثالث عشر . فهم باستخدامهم للتراجمة وجمعهم

لمؤلفات اليونان والفراعنة والفرس والهنود استطاعوا نقل تراثهم الى العربية فاصلحوا فيه وهذبوه واضافوا له تجاربهم وخبرتهم واعادوا ترتيبه ليخرج الى العالم بطابعهم ويصبح اساسا لعلم الطب في اوربا لحين بداية القرن السابع عشر .

من جميل صفات الطبيب العربي تعمقه في الدراسة فهو اذ يستوعب كتب الطب بعد قراءتها يعود ليناقش ما فيها ورد مالا يقبله العقل او ما يعوزه الدليل ، ثم يحاول ايجاد البديل الصالح للمرفوض فان لم يتيسر له ذلك استهدى طريق الاستنتاج السليم . هذه الصفات جعلت الطب العربي موضع الثقة ومحط الانظار .

وفي الطبيب العربي امانة فهو لا ينسب لنفسه غير ما يكتب ما صدر عن غيره ، فاذا كتب ذكر بالمصدر اراء السابقين مقرونة بالثناء والتبجيل واتبعها بعد ذلك بما يريد ذكره فان كان ردا قاله بادب جم وان كان ابتكارا قاله بتواضع كبير .

ليس ماقدمه العرب من الجديد في الطب بسيرا ولا ما اضافوه لما وجد سابقا بالقليل ففي كل فرع واختصاص لهم عطاء :

ففي التشريح :

يلاحظ القارىء لكتب الطب العربي خلوها من الاشارة الصريحة لقيام الاطباء العرب به ولعل مرد ذلك راجع لاجتهاد البعض بان التشريح تمثيل بالميت وذلك محرم وفاتهم التنور بارآء بعض الفقهاء البارزين منهم . فلقد جاء عن ابن رشد انه قال (من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا) .

لم تمنع القيود المفروضة على تشريح الانسان التقدم في هذا العلم فلقد توسل الطبيب العربي بوسائل مختلفة لزيادة معلوماته التشريحية . فمن ملاحظته للجروح التي تتسبب من الحوادث والحروب مثلا تكشفت له حقائق تشريحية كثيرة زادت من معرفته بجسم الانسان ووظائفه .

كما وسع معلوماته التشريحية عن العظام من ملاحظة الرمم في المكشوف من المقابر أكد ذلك البغدادي في كتابه الافادة والاعتبار بعد ان فحص اكثر من الفي جمجمة بشرية فقال في كتابه (فمن ذلك عظم الفك الاسفل فان الكل قد اطبقوا على انه عظمان بمفصل وثيق عند الحنك ..... والذي شاهدناه من حال هذا العضو انه عظم واحد وليس فيه مفصل ولا درز)

ومثل ذلك دراسة التشريح المقارن التي تفيد

كثيرا في الطب . فقد روى ان يوحنا بن ماسوية طلب الى الخليفة المعتصم ان يكتب الى واليه ببلاد النوبة في طلب بعض انواع القردة لغرض تشريحها وانه كان يقوم بالتشريح في مكان خاص أقيم على شاطىء دجلة) . وروى ايضا ان الاشعث شرح سبعا حيا في حضرة الامير الفشنفر وقد استصغر بعض الحاضرين معدته فصب من الماء فيها ما بلغ اربعين رطلا . وقال الرازي في التشريح المقارن : (فان جالينوس فدعني بامر التشريح وكان يدعي فيه دعاوى وهنا لا يمكننا تشريح ارحام النساء ولكننا قد نشاهد ارحام الغنم واجوافها فلم نر من ذلك شيئا .)

لقد رأى ابن النفيس تباينا في تركيب اجسام الحيوانات المختلفة فاوصى بدرس التشريح المقارن ليلم بالاختلافات ثم اعتمد التشريح طريقة له في العمل . وابتدع لاول مرة تصنيف مؤلف خاص بالتشريح (شرح تشريح القانون) استخلص فيه اقوال ابن سينا في التشريح واشار الى النقاط التي خالفه فيها والى تلك التي خالف فيها جالينوس ايضا . ولقد سبق ابن النفيس السيد (هارفي) في اكتشاف الدورة الدموية الصغرى بمئات السنين كما سبق سرفيتس بمعرفة كون الدم ينقى في الرئتين بثلاثة قرون اذ قال في كتابه (شرح تشريح

القانون) (ولابد في قلب الانسان ونحوه مما له رئة من تجويف آخر يتلطف فيه الدم ليصلح لمخالطة الهواء فان الهواء لو خلط بالدم وهو على غلظة لم يكن في جملتها جسما متشابه الاجزاء. وهذا التجويف هو التجويف الايمن من القلب. واذا لطف الدم في هذا التجويف فلابد من نفوذه الى التجويف الايسر حيث يتولد الروح ولكن ليس بينهما منفذ فان جرم القلب هناك مصمت ليس له منفذ ظاهر كما ظنه جماعة ولا منفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ هذا الدم كما ظنه جالينوس فان جسم القلب مستحصف وجرمه غليظ فلابد ان يكون هذا الدم اذا لطف نفذ في الوريد الشرياني الى الرئة ليثبت في جرمها ويخالط الهواء ويتصفى الطف ما فيه وينفذ الى الشريان الوريدي ليوصل الى التجويف الايسر من تجويفي القلب وقد خالط الهواء وصلح لان يتولد منه الروح وما بقي اقل منه لطافة تستعمله الرئة في غذائها .)

وفي الدوران الثاجي ظن ابن سينا ومن سبقه من اطباء اليونان والعرب بان غذاء القلب تتغذى من الدم الموجود في تجويفه . يقول ابن النفيس (. . . وجعله الدم الذي في البطين الايمن منه يتغذى القلب لا يصح البته فان غذاء القلب انما هو من الدم المار فيه في العروق بجرمه) وهذا دليل آخر على ان ابن النفيس لا يكتب الا بعد ان يتحقق من الشيء عيانا ، وانه اول من وصف الشرايين الاكليلية.

ويؤكد ابن النفيس مخالفته لابن سينا في ذكر عدد تجاويف القلب اذ يقول (قوله . . . وفيه ثلاثة بطون وهذا كلام لا يصح فان القلب له بطينان فقط احدهما مملوء من الدم وهو الايمن والاخر مملوء من الروح وهو الايسر ولا منفذ بين هذين البطينين البتة والا كان الدم ينفذ الى وضع الروح فيفسد جوهرها والتشريح يكذب ما قالوه) .

يذكر ابن القف نفس المعنى في كتابه شرح كليات القانون لابن سينا (وللقلب اربعة منافذ اثنان في الجانب الايمن . . . .) .

وفي دوران الدم في الشعيرات يقول علي بن العباس في وصفها قبل هارفي بقرون (. . . . وذلك ان العروق غير الشوارب فيها منافذ الى العروق الشوارب والدليل على ذلك ان العرق الضارب اذا قطع استفرغ منه جميع الدم الذي في العروق غير الشوارب) . ويقول ابن النفيس في المعنى نفسه (ولذلك جعل الوريد الشرياني (الشريان الرئوي) شديد الاحتساف ذا طبقتين ليكون ما ينفذ من مسامه شديد الرقة وجعل الشريان الوريدي (الوريد الرئوي) نحيفا ذا طبقة واحدة ليسهل قبوله لما خرج من ذلك الوريد ولذلك جعل بين هذين العرقين منافذ محسوسة) . ويقول ابن القف عن الشعيرات انها شبيهة بنسيج العنكبوت) .

وعن حمامات القلب واغشيتها جاء في (شرح كليات القانون لابن سينا) لمؤلفه ابن النفيس (وللقلب اربعة منافذ اثنان منهما في الجانب الايمن احدهما ينفذ فيه الدم من الكبد في شعبة من الاجوف وفي فوهة هذا العرق ثلاثة اغشية مغلقها من خارج الى داخل وهو اغلظ من باقي اغشية فوهاتها) .

اما عن التشريح المرضي فقد قال ابن النفيس (ان تشريح العروق الصغار في الجلد يعسر في الاحياء لتاليم وكذلك في الموتى الذين ماتوا من امراض تقلل الدم كالاسهال والدق والنزف ؛ وانه يسهل فيمن مات بالخنق لان الخنق يحرك الروح والدم الى الخارج فتنتفخ العروق ، على ان هذا التشريح ينبغي ان يعقب الموت مباشرة لتجنب تجمد الدم) .

واورد الزهراوي في كتابه التصريف عن التشريح المرضي فقال (. . . . وضرورة تشريح الاجسام بعد الموت لمعرفة سبب الوفاة للانتفاع بهذه النتائج في الاحوال المماثلة) .

الجراحة :

كانت الجراحة في بداية الحكم العربي من الصناعات الممتهنة التي يجب ان يتسامى الطبيب عن ممارستها لذا فقد بقيت من صناعة الحلاقين والحجامين يقومون بالبسيط منها لوحدهم كالكي

والفصد والبط ويستعينون على الاصعب باشراف وارشاد الاطباء .

ولامتهان هذه الصناعة عند الاطباء فانها بقيت على مستوى دون مستوى صناعة الطب فلم يكتب فيها ولا ظهر بها من هو خبير ولم تتعد المعلومات الجراحية عند الاطباء ما كان موجودا في كتب ابوقراط وبولص الايجانطي وغيرهم من قدماء اليونان .

ومن حسن الحظ ان يشمل ازدهار الطب في العهد العربي صناعة الجراحة اذ ظهر من اطباء العرب من سار بالجراحة شاوا كبيرا ورفعها لمستوى التجديد والابداع .

كان اول من كتب في الجراحة من البارزين عند العرب هو علي بن العباس اذ كتب عنها فصلا في كتابه (كامل الصناعة) وتبعه الرازي في كتابه (الحاوي في الطب) فخصص للجراحة جزءا اكبر وجاء ابن سينا وكتابه (القانون) وفيه ورد الشيء الكثير عن الامور الجراحية والعمليات المختلفة وما يسبقها من استعداد وما يتلوها من عناية .

ولعل ابرز من حقق النهضة العلمية للجراحة هو ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي . فلقد كان ما كتبه في الجراحة اكمل ما كتب في زمانه وبقي

بدلك نعده قرون تفرق بين الجراحة وبين علوم الطب الاخرى وجعلها اختصاص قائم بذاته صنف فصولها واسهب في رسم الآلات وكيفية صنعها وابتكر كثيرا من الآلات كل لعمل خاص . وابتكر كذلك العديد من العمليات الجراحية التي لم يسبقه اليها احد . وقد يكون من بين الاسباب التي ساعدت الزهراوي على هذه القفزة هو اتباع الاسلوب العلمي في بحثه واعتماده التشريح اساسا لهذه الصناعة . ان الزهراوي اسهم بانجازه المذكور رائدا للجراحة في الطب العربي .

جاء بعد الزهراوي ابن القف فكتب (العمدة في صناعة الجراحة) وجعله كتابا كاملا لهذه الصناعة وكثر ما استفاد عن الزهراوي في مواضع متعددة. يصنف ما قدمه العرب في الجراحة قسمين : الاول العمليات المبتكرة والمطورة والثاني الآلات المستنبطة لهذه العمليات .

في العمليات الجراحية كان الاطباء العرب حريصون على تنظيف الجلد قبل العملية وهذا اول امر يدل على ادراك دور النظافة في تفادي الخمج في جروح العمليات . لقد نصح ابن سينا باستعمال الخمر لهذا الغرض وهو ما نعمله اليوم باستعمالنا الكحول لتنظيف وتعقيم الجلد قبل العملية . وكانوا عند عدم وجود الخمر يستعملون الماء والعسل لنفس الغاية .

وللزهراوي سبق بانه اوصى ان ترفع الارجل والجوف قبل اجراء اي عملية على النصف الاسفل من الجسم . ان هذا الاجراء يعجل في ارجاع الدم الى القلب ويقلله في الاقسام المرفوعة فيجعل موضع العملية واضح الرؤية . لقد نسب الغرب هذه الفكرة الى ترندلبرغ الالماني الذي جاء بعد الزهراوي بعدة قرون .

وكان الاطباء العرب اول من اشار الى تفتيت الحصى في المثانة . جاء ذلك في الحاوي للرازي والتصريف للزهراوي . كما كان علي بن العباس اول من وصف عملية الشق العجاني لاستخراج الحصاة وتبعه بعد ذلك الرازي بوصف للشق على حصاة المثانة وحصاة الكلية . اما الشق الخثلي لاستخراج حصاة المثانة فاول من ابتكر هو الزهراوي، وانه اول من اجرى عملية استخراج حصاة المثانة عن طريق المهبل . ومن الدلائل على اتقان اجراء هذه العمليات هو ان ابو نصر سعيد بن عيسى وتلميذه ابن عطاشة قاما باجراء عملية استخراج حصاة المثانة للخليفة الناصر ؛ وقد تمت بنجاح . وكان بن زهر الذي جاء بعد الزهراوي اول من وصف عملية استخراج حصى الكلية .

ان اول من وصف خزع الرغامي هو الرازي في كتابه الحاوي ولكن ليس هناك ما يدل على انه

مارسها . في حين ان الزهراوي اجراها على احد خدمه ، وكذلك بن زهر من بعده .

ويعتبر الرازي من اوائل الذين اشاروا الى الجراحة التجميلية فقد تكلم عن كيفية تعديل التشوه في الشفة والاذن والانف وجاء الزهراوي بعد ذلك وشرح عن مختلف التشوهات في الفم والفك وكيفية تدبيرها .

وعن استعمال اللوزتين كتب ابن سينا في القانون (اما اللوزتان فيعلقان بعتارة ويجذبان الى الخارج ما امكن ومن غير ان يجذب معهما العضلتان وتقطع في استدارة من فوق الاصل بالآلة القاطعة بعد ان تقلب الآلة القاطعة وتقطع الواحدة تلو الاخرى بعد مراعاة الشرائط المذكورة من لونها وحجمها فاذا سقط منها ما قطع ترك الدم يسيل وصاحبها منكب على وجهه ثم يتمضمض بماء وخل مبردين وتقطع النزيف باستعمال الزاج والشب والثلج .

كان العرب اول من استعمل موسعات الاحليل . روى طاشكبري عن احد اساتذته قال (نبت لي لحم في مجرى البول حتى كدت اموت فعرفت ذلك على الاطباء فامروا بقطع العضو ثم ذهبت الى ابن الذهبي فعرفته عليه حالي وقول الاطباء من قطعه قال فضحك من قولهم ثم استدعى برصاص فعمل منه ابرا كثيرة بعضها اغلظ من بعض

بجعل فيه الدقيق اولا ثم الاغلظ فالاغلظ وما تم يوم وليلة حتى انفتح قال ثم أمرني بان لا اخلي العضو من ان ادخل فيه ابرة عظيمة وغليظة من تلك الابر مقدار سنة) .

كان الزهراوي اول من ربط الشرايين بالحرير وكان من اوصى بالربط الرباعي في معالجة ام الدم. وله ارآء جديرة بالذكر في الكسور والخلوع ووصفا دقيقا لمختلف الاربطة والجبائر التي تستعمل في الكسور . ومن ملاحظاته المهمة كيفية المحافظة على الانسجة الرخوة الملامسة لحافة الجبائر بوضع شيء من الصوف او اللفافات . ولقد ذكر امكانية حدوث الشلل بعد كسر الفقرات ووصفها قبل (بوت) بسبعمائة سنة .

وللرازي اراء في تدبير الكسور وهو الذي نصح بعدم ربط الكسر ربطا محكما منذ الوهلة الاولى وذلك لاحتمال حدوث ورم في منطقة الكسر نتيجة تجمع المصل والدم . ومن ملاحظاته ان طول مدة الشد يوهن العضو ويضعفه .

ولقد عالج العرب خلع الكتف بطريقة رد المقاومة الفجائي والتي نسبها الغرب فيما بعد الى (كوخر) .

وعرفوا التخدير بالاستنشاق وابتدعوا الاسفنج المنوم وهو اسفنج مغمور بمواد عطرية

وتنوعه يجعف بعدها ويحفظ فاذا اريد استعماله بلل ووضع فوق الانف والفم وقد نقل عنهم ذلك تيودريك البولوني في القرن الثالث عشر .

واستعملوا المواد المخدرة لتسكين الالام مثل الافيون والحشيش والكران وست الحسن والزوان . تقول ابن سينا ان الافيون اقوى هذه المواد .

وقد استعملوا الثلج ايضا كوسيلة للتخدير الموضعي .

يجمع المؤرخون على ان الرازي كان اول من ادخل استعمال القصاب للربط وخياطة الجروح وهو مصنوع من امعاء الحيوانات وان الزهراوي اول من ادخل استعمال الحرير للربط والخياطة وانه علم تلاميذه كيفية خياطة الجروح من الداخل بشكل يجعل الندبة تكاد تكون غير مرئية ، وكيفية التخييط بابرتين وخيط واحد واجراء التخييط المتمن في جراحات البطن .

كان الزهراوي اول من استعمل الحناتير في علاج الناسليلات واول من استعمل المحقنة الشرجية البصيلية . ومحقنة المثانة وخافضة اللسان والقشطرة من المعدن وكذلك ثقبت حصى المثانة وهو اول من وصف داء الناعور وشاهد عدة حوادث

يزهر في عائلة واحدة عالجها بالكي . والرازي اول من استعمل الفتائل في العمليات الجراحية والانابيب في تصريف السوائل والخراجات .

الطب الباطني :

احدث العرب الكثير من الاراء الجديدة في العلاج والتدبير بواسطة الغذاء واستعملوا الافيون لمعالجة الجنون وعرفوا الوقاية من الامراض وهم اول من كتب عن الحصبة والجدري والجذام .

فمن ارائهم الجديدة في العلاج استعمال الادوية السهلة لمعالجة الاسهال . كان اول من باشر بهذا العلاج يزيدبن زيد طبيب ابراهيم بن المهدي فقد سقى ابا تمامة شربة فشفته وكان ان عرض اسهال لابن تمامة كان ان يؤدي به . وذكر بن ابي اصيبعة ان ابراهيم بن بنان اخ الطبيب سلموية اصيب بيضة من خوخ اكله واكثر منه فكادت تاتيه على نفسه فسقاه اخوه سلموية شرابا كثير السفرجليا فاسهله اسهالا زائدا عن المقدار فانقطعت البيضة بانقطاع فعله . وقال ابن سينا اومن حوابس الاسهال الاسهال وذلك اذا كان الاسهال خلطيا ينصب الى المعدة والمعي فينزل الطعام ويسيله ويستفرغه . ويلزم استفراغه ان تتبعه الاخلاط فاذا استؤصل ذلك واستفرغ هان وجه التدبير) .

وعن استعمال الافيون لمعالجة الجنون ذكر ابن اصيبعة ان الطبيب مهذب الدين بن عبد الرحيم احد اطباء بلاد الشام مر يوما في قاعة المرديين فراى مصابا بمرض الجنون السبعي فامر ان يضاف الى ماء الشعير في وقت اسقائه اياه مقدارا متوفرا من الافيون فصلح الرجل وزال ما به من تلك الحال .

ومما جاء في ذكر الجذام (داء الاسد) ومعالجته بلحوم الافاعي وسمومها ما ذكره ابن خلكان من ان ابا البركة هبة الدين بن علي بن ملكان الحكيم المشهور كان ان اصابه الجذام في آخر عمره فعالج نفسه بتسليط الافاعي على جسده بعد ان جوعها فمالت في نهشه فبرىء من الجذام وعمي .

لعل ما يؤخذ على الطب الباطني عند العرب قبولهم نظرية الاخلاط الاربعة وهي نظرية اليونان السائدة فباتوا يعللون وظائف الجسم ونشوء المرض فيه على ضوئها ولم يهتموا كثيرا في رد هذه النظرية او تحسينها ولكن هذا لم يتعارض مع دقة الملاحظات السريرية عندهم والحكم المبني عليها سواء اكان ذلك فيما يتعلق بالتشخيص او بالعواقب او بالمعالجة .

كانت للعرب خبرة زائدة بمعرفة احوال النبض والاستدلال بتبدلاته على الامراض خاصة

الحميات ، ولعلهم اول من اعتمد على فحص القشع للتعرف على امراض الصدر عامة والرئة خاصة . اما في فحص القارورة فلقد بلغت براعتهم حدا كبيرا وكان بامكانهم الاستدلال بها على الامراض واحوال كثيرة . ومن النوادر الطريفة في هذا الباب ان الرشيد اراد اختبار معرفة طبيبه فجاءه بقارورة بول حمار وطلب منه بحضور علية القوم ان ينظر الى قارورة هذا الرجل ويصف له ما يجب ان يأكله . فلما نظر الطبيب في القارورة قال للخليفة اطال الله عمر مولاي ارى ان يأكل هذا الريش شعيرا فضحك الخليفة ومن معه واستحسنوا علم الطبيب .

الصيدلية :

اما معرفتهم في علم العقاقير لا سيما النباتية منها فانها تكاد ان تحاكي معرفتنا بها اليوم فلقد جاء في سيرة رشيد الدين الصوري المولود بمدينة صور سنة ٥٧٣هـ انه في دراسته للنباتات الطبية كان يستصحب معه مصورا ومعه الاصباغ ويتوجه الى المواضع التي اختص كل منها بشيء من النبات فيحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وانعطافه واصوله ويصوره بحسبها ويجتهد في محاكاتها . وكان يري النبات للمصور في ابان طراوته فيصوره ثم وقت كماله وظهور بزره فيصوره ثم

برته أياد وفت فواد ويبسه فيصوره فاذا شاهده الناظر في الكتاب كان تعقيفه اتم ومعرفته به ابين .

وجاء في سيرة ضياء الدين البيطار انه كان يبحث عن النباتات الطبية في كل البلاد يجمعها ويدرسها ويحققها ويضبط اشكالها على اختلافها وتنوعها . ولقد سافر الى بلاد الاغارقة وبلاد الروم ولقي جماعة يعانون هذا الفن فاخذ عنهم معرفة نبات كثير وعاينه في موضعه وفعل ذلك بالمغرب ايضا . وظل في ايطاليا مدة طويلة واجتمع بعلماء الافرنج وباحثهم في النباتات والاعشاب واتقن دراسة كتاب ديسقوريدس النباتي المعروف .

كان العرب اول من اسس حوانيت الصيدلة ورتبها مراقبتها وادخل الكثير من المواد الكيمياوية في ادويتهم . وكانوا اول من استعمل السوائل المعطرة لحل الادوية كماء الورد والليمون والياسمون وقد حسنوا المراهم والادهان وكانوا اول من استخدم الزئبق في المراهم ودرسوا تأثيره عندما يستعمل داخليا . فلقد ذكر الرازي في كتابه المنصوري انه استطاع ان يجرب تأثير هذا المعدن على القردة ووصف الاعراض التي تنشأ من شربه وقال انه سقى قردا بعضا من معدن الزئبق فلم يحصل له سوء غير انه اكثر من التلوي وصار يعض

موضع يطنه ويضع كفيه عليها فاستنتج الرازي من ذلك ان القرد اصيب بمغص .

ظهرت الصيدليات العامة لاول مرة في زمن الخليفة العباسي المنصور . وفيه بدأت عادة وضع الاواني الزجاجية المحتوية على السوائل الملونة عند مدخل الصيدليات . لقد اخذت اوربا عنهم هذه العادة فيما بعد .

ورسم العرب صورا لصيدلياتهم الخاصة في مواضيع حضارتهم وقد لبس الصيدلي ثيابا بيضا ووقف بباب صيدلته ومن ورائه الارفف المثلثة بالاوعية والقوارير . وفي صورة اخرى صيدليا يشتري من احد العشابين المتجولين بعض ما يحمله من انواع الحشائش ذات المزايا الطبية .

كان العرب يخصصون جناحا في المستشفيات للصيدليات وتحضير العقاقير وصرفها للمرضى . وجاء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (وكان المرضى يفحصون اولا في القاعة الخارجية فمن كان منهم بحالة مرض خفيف يكتب له العلاج ويصرف من صيدلية المستشفى) .

من الثابت ان العرب هم اول من الف الاقرباذين على الصورة التي وصلت الينا ، وكان ابن ماسويه السابق في هذا المضمار ؛ وجاء بعده سابور بن سهل الذي الف الاقرباذين الكبير الذي

بقي كتاب التدريس لعدة قرون . وكتب ابو المنى داود سنة ١٢٦٠م كتابه (منهاج الدكان ودستور الاعيان) الذي ما زال معروفا عند العطارين في بلادنا وكتب السديد بن ابي البيان المصري كتابا سماه (الدستور البيمارستاني) ليستعمله الصيادلة في المستشفيات . وكتب غيرهم الكثير في الصيدلة فكتاب (سر الاسرار) للرازي و (والصيدنة) للبيروني و (العقاقير) للبيروني ايضا و (الكتاب الملكي) لابن العباس في الجزء الثاني منه ، والكتاب الخامس من (القانون) لابن سينا و (الجامع لمفردات الادوية والاغذية) لابن البيطار و (تذكرة داود الانطاكي) كلها امثلة على توسع العرب في علم الصيدلة .

ولا ينبغي أن يفوتنا ان العرب قد استعملوا (عفن الخبز) و (العشب الفطري) خارجيا لعلاج خمج الجروح وداخليا لعلاج بعض الحميات .

وهكذا فان الفضل في تاسيس وتطوير صناعة الادوية يرجع الى العرب لانهم المكتشفون لعمليات التقطير والترشيح والتصعيد والتبلور والتذويب واستعمالها في تحضير كثير من الادوية . كما كان الصيادلة العرب يبيعون بعض الادوية الجاهزة المكتوب عليها طريقة الاستعمال . وتوصل ابن سينا الى تغليف الحبوب التي توصف للمرضى .

ولاول مرة في تاريخ الطب يقترح ابن القف

الاندلسي توحيد الاوزان والمكاييل الطبية لضمان سلامة المريض واتقاء خطر تنوع واختلاف الاوزان بين قطر وقطر ومدينة ومدينة .

الاختصاصات الطبية :

لقد ظهر في الطب العربي تنوع في الاختصاص فهناك المتطبب والجراحي والكحال والجبائري وطبيب النساء وطبيب الاسنان والفصاد والكاوي والصيدلي . وهناك من جعل جل صناعته في تدبير الاطفال او النظر في المسنين او في معالجة المجانين . وكتب العديد من الاطباء العرب عن الامراض النفسية ومعالجتها فكانوا روادا لهذا الفرع من الطب الذي سموا به الى ارفع درجاته في الوقت الذي كانت معالجة المجنون او معتل النفس في اوربا لا تتعدى التقييد بالاصفاد والمبالغة في الضرب املا في اخراج الارواح الشريرة من ذلك المريض .

ومن طرائف ما يروى عن المعالجة النفسية انه كان لاحد الامراء زوجة عزيزة عليه انطوت نفسها وساءت صحتها وتبدل نشاطها ومرحها وما لبثت ان اصيبت بالفالج وهي في ميعة الصبا فنسي النطق لسانها واصبحت كئيبة يائسة بعد ان كانت الروح المرحة في القصر . استشار الامير الاطباء فجرب كل منهم طرائقه وبدت فاشلة .

ولما يئس الامير من طب بلاده ارسل باستحضار

شيخ الاطباء العرب . فحص الطبيب الجرح المريضة بانعم النظر فيها فاتضح له ان مرضها نفساني ممكن بالحيلة والايحاء فوصف لها دواءا وطلب ان ترضع لوحدها في قصر لا حشم ولا خدم فيه وقدم سعادتها طالبا السماح اليه بامر العناية .

ونظر الامير الى المعاون فراه شابا جميلا خلق المحيا حلو الحديث جمع من اوصاف الجمال البدني اكملها ففكر بانفراده بالمريضة في القصر فساوره الظن وطلب من الطبيب ترك العناية لجارية او وصيفة فلما اعتذر الطبيب رفض الامير الفكرة ولكنه استمهل الطبيب فتقدم هذا بعد اسبوع طالبا العودة الى بلده فكرر الامير رجاءه بترك العناية بالمريض للوصيفة واعتذر الطبيب مرة اخرى . استشار الامير وزراءه فلم يروا ما يدعو للريبة فقبل الامير على مضض . ولما جاء الصباح وذهب المساعد للاميرة تقدم اليها واخذ يدلك اعضائها دلكا يدعو الى سوء الظن فهالها الامر واستجمعت قواها ولطمت الشاب وصرخت مستغيثة وركضت نحو النافذة وسمع من في القصر الثاني صوتها فهبوا لنجدتها وكادوا يمزقون المساعد لو لم يطلب منهم ابلاغه الى الامير . وهناك امام الملا كشف الاب الطبيب عن المساعد فاذا هي ابنته وان ما كان ليس الا حيلة لشفاء الاميرة . فر الجميع عينا واكبروا بعد نظر الطبيب العربي .

مسؤولية الطبيب :

اخضع العرب الممارسة لشروط وشرائع دقيقة تحدد ما للاطباء وما عليهم وجعلوا الاشراف على مدى التعليم ضمن واجبات المحتسب حفظا على سلامة المجموع ودفعا عن ايذائه . وكان المحتسب ينظم اختبار الاطباء ويتعرف على مقدرتهم للعمل فان رأى احدهم عجزا او تقصيرا منعه عن امتهان الطب وحمله مسؤولية ما قام به من اعمال وما نتج عنها .

كان المحتسب يمتحن اطباء العيون امتحانا صعبا اذ ينبغي على الكحال ان يكون عارفا بتشريح العين وطبقاتها السبعة وعدد رطوباتها الثلاث وعدد امراضها وانواعها وما يتفرع من ذلك وان يكون بتركيب الاكحال وامزجة العقاقير . فمن وجد فيه القدرة اذن له بمداواة الناس . وكان لا يفسح المجال للدجالين والجهال يتعاطى طبابة العيون .

اما الاطباء المجبرون فيجب ان يكونوا عارفين عدد عظام الآدمي وصورة كل عظم منها وشكله وقدره حتى اذا انكسر منها شيء او انخلع رده الى موضعه على هيئته التي كان عليها ومن يجهل ذلك لا يحل له التصدي للجبر .

وعلى الجراحين ان يعرفوا التشريح واعضاء الانسان وما فيه من العضل والعروق والشرايين

والامصاب وان يكونوا ذا معرفة في كتب الجراحة وقد قرأوا كتاب الزهراوي في هذا الباب وان تكون لديهم جميع الات الجراحة وما تحتاج اليه هذه المهنة من ادوات وغيرها .

من جملة ما فرضته صناعة الطب على الطبيب الزامه بتادية القسم قبل السماح له بالممارسة ، وقد تبدلت نصوص القسم عدة مرات غير انه بقي في جوهره ضمن اطار معين لقد كان المؤمل من الطبيب منذ قديم الزمان ان لا يجعل من صناعته عاملا في تسبيب الاذى للناس ، ولكن ازدياد تعقد الحياة في كل عصر اضطر ذوي الشان بتحديد ما يعتبر اذى سببه المتطبب ، وقد كان اول قسم في الطب العربي مقتبس من قسم ابو قراط الاغريقي في عصر الترجمة ثم تطور وتحورت كلماته ولكنه بقي ضمن المعاني التالية : ان لا يعطي الطبيب دواء مضرا ولا يركب منه سما ولا يذكر للنساء الدواء الذي يسقط الاجنة ولا للرجال الذي يقطع النسل وان يغض بصره عن المحارم ولا يفشي السر او يهتك الستر .

وكان على الطبيب اذا دخل على مريض ان يسأله عن سبب مرضه وما يجد من الالم ويعرف السبب والعلامة والنبض ثم يرتب له قانونا من الاشربة وغيرها ثم يكتب نسخة بما ذكره للمريض

وبما رتبه له سلمها لاولياء امره بشهادة من حضر فاذا كان من الغد حضر ونظر الى دائه ورتب له قانونا حسب الحال وكذلك في الايام التالية الى ان يبرأ المريض او يموت . فان برأ اخذ الطبيب اجرته وان مات حضر اولياؤه عند الحكيم المشهور وعرضوا عليه النسخ التي كتبها الطبيب لهم فان رآها على مقتضى الحكمة من غير تفريط او تقصير اعلمهم ، وان رأى الامر خلاف ذلك قال لهم خذوا دية صاحبكم من الطبيب .

الادب الطبي :

وقد تعرض الطب العربي لصفات الطبيب التي يجب ان يتحلى بها كان يكون حسن الهيئة كامل الخلقة صحيح البنية نظيف الثياب طيب الرائحة يسر من نظر اليه ويقبل النفس على تناول الدواء من يديه وان يكون متينا في دينه واقفا عند حدود الله خلي القلب من الهوى لا يقبل الارتشاء ولا يفعل ما يشاء .

واكد الطب العربي على ضرورة تشخيص الداء قبل اعطاء الدواء حتى اذا لم تيسر للطبيب التشخيص من البداية عالج المريض بما لا ينكر حتى يتعرف على الداء وعلاجه .

وتميز اطباء العرب بمتابعة الدراسة عوضا

علت من ذلك ما روى عن ابن المظفر ان فقد قيل عنه انه كان يغلب عليه الزهو بنفسه والتكبر على الملوك . ولكنه وقت طلب العلم لم يكن على شيء من ذلك فاذا قرب من الجامع ترجل واخذ الكتاب في يده ولم يترك احدا من الغلمان يصحبه ولا يزال حاسيا الى حلقة التسميع الذي يقرأ عليه فيقعد بين الجماعة الى ان يفرغ من القراءة ويعود الى ما كان عليه .

وقد تحلى اطباء العرب بصفات عالية تدل على رغبتهم في التعلم والتعليم والافادة من العلم والدأب على تحصيله والتشاور في امر المرض . فقد روى عن مهذب الدين عبد الرحيم انه تردد على البيمارستان الكبير بدمشق وعالج المرضى به وشرع في تدريس صناعة الطب وكان يظهر من حسن صناعة الطب والتقدم في المعالجة ما يفوق به اهل زمانه ويحصل من تأثيرها شيء كانه سحر فاذا فرغ من البيمارستان وانتقد المرضى من انيسان الدولة واكابرها وغيرهم يأتي داره ثم يتفرغ في القراءة والدرس والنسخ فاذا فرغ الذن للجماعة فيدخلون عليه ويأتيه قوم بعد قوم من الاطباء فاذا التمس منهم عاد الى نفسه ليأكل شيئا ثم اشرع بقية نهاره في الحفظ والدرس . واستمر على ملازمة مجلسه حتى ثقل لسانه وعاد لا يفهم الكلام منه الا بعسر .

المشافي :

كانت خيمة رفيدة اول المشافي في الاسلام ، وهي التي امر الرسول ان تضرب في المسجد يوم الخندق لتكون قريبة من الجيش فكانت بذلك اول المشافي الحربية المنقولة .

بقيت المشافي على هذا الحال الى ان جاء الوليد بن عبد الملك حين اتخذ للمجذومين دارا خاصة يعتنى بهم وتجرى عليهم الارزاق وكان هذا اول مستشفى للمجذومين في التاريخ .

تتابعت الامور بعد ذلك الى ان اصبحت حواضر الاسلام غاصة بالمستشفيات وتزاحم الخلفاء وعنية القوم على المبالغة في تحسينها والانفاق عليها حتى صار قسم منها اعجوبة زمانه وحديث عصره . لم تكن هذه الشهرة بغير حق لان البناء كان في غاية الفخامة والتنظيم بما ليس له من مثيل . يتواجد في بعضها من الاطباء خيرتهم ومن اختصاصاتهم انواعها ومن الصيادلة اشهرهم ومن الصيدليات اغناها . فيها من الخدم والطباخين والاواني ما لا يوجد في بيوت الخلفاء والامراء . كانت الارزاق تجري باكثر مما تدعو الحاجة اليها والاموال تغدق بكرم تزيد لتعطل حاجة المريض منها عندما يترك المستشفى .

تعلق كثير المشافي في الاسلام للرقي العظيم والفائدة العميمة لتوزيعها العادل حتى قيل ان الخليفة عمر بن عبد العزيز كان يمر بالصدقة فلا يجد من يقبلها . هذا بالاضافة لرغبة الخلفاء في تخليد ذكرهم في عمل الخير ونفع الناس .

قال تقي الدين المقريزي ان اول من بنى البيمارستان ودار المرضى في الاسلام كان الوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي في سنة ٨٨هـ ٧٠٦م. وجعل في البيمارستان الاطباء واجرى لهم الارزاق وامر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا واجرى عليهم وعلى العميان الارزاق .

وقال محمد بن جرير الطبري في تاريخ الرسل والملوك (كان الوليد بن عبد الملك عند اهل الشام افضل خلافتهم بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ورفع المنار واعطى المجذومين وجعل لكل مقعد خادما ولكل ضرير قائدا .

انواع المشافي :

كانت المشافي على نوعين الثابت والمحمول : وهو اما :

(١) العام : وكان هذا النوع كثير الوجود في الحواضر الاسلامية لا سيما العواصم الكبرى كبغداد والقاهرة ودمشق وغيرها . لقد كان عدد السكان في قرطبة

في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) نصف مليون وكان بها (٥٠) مستشفى و (٥٠٠) حمام ومكتبة عامة بها (٦٠٠,٠٠٠) مجلد و (٧٠) مكتبة خاصة . اشتهر من هذه المشافي العضدي في بغداد والمنصوري في مصر والنوري في الشام وبيمارستان تونس والاندلس .

(٢) الخاص : وهو ما انشيء لغرض خاص . وقد تعددت انواع هذه المشافي في الاسلام فمنها :

آ ـ **مشافي الجذام :** وقد سبق ان اشير الى ان الوليد بن عبد الملك كان اول من انشا مثل هذه المشافي ، في حين ان ملك فرنسا فيليب الجميل امر بحرق المجذومين سنة (١٣١٣م) باعتبار الجذام داء نتيجة للرجس والخطيئة وانه نوع من عقاب رباني بينما ميز العرب طبيعة العدوى فيه . جاء في زاد المعاد لابن القيم الجوزية بحثا عن سراية الجذام فيقول (فان المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم من اطال مجالسته ومحادثته وكذلك المرأة تحت المجذوم فتشاجعه في شعار واحد فيوصل اليها الاذى وربما جذمت) .

(ب) ـ مشافي السجون : في بداية القرن الرابع الهجري كتب علي بن عيسى وزير المقتدر بالله الى سنان بن ثابت في سنة كثرت فيها الامراض

رفكرت سد الله في عمرك في امر من في الحبوس وانه لا يخلو من كثرة عددهم وجفاء اماكنهم ان تنالهم الامراض وهم معوقون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الاطباء فيما يعرض لهم فينبغي ان تفرد لهم اطباء يدخلون اليهم في كل يوم وتحمل اليهم الادوية والاشربة ويطوفون بسائر الحبوس ويعالجون فيها المرضى ويزيحون عللهم فيما يحتاجون اليه من الادوية والاشربة) . وهذا اول ما عرف عن مشافي السجون سجله التاريخ مفخرة للعرب فوق مفاخرهم .

(ج) ـ مشافي الامراض العقلية : تأسست في اوائل الحكم الاموي للعناية بالذين اصابهم مس او اعتراهم ضعف عقلي فلقد كان العرب يعتبرون المتوهين معذبين تجب اعالتهم على الدولة . يقول رونه سانديه في كتابه الطب الاجتماعي (يحترم المسلمون المصابين بعقولهم ويوصون بمعالجتهم بالليف ويفرزون لهم في المشافي قاعات لمعالجتهم ثم اشادوا لهم مارستانات خاصة بهم) .

ولقد جاء في صك الاوقاف التي حبس ريعها لصالح المستشفى النوري بحلب (يخص كل مجنون بخادمين ينزعان عنه ثيابه كل صباح ويحمانه بالماء البارد ثم يلبسانه ثيابا نظيفة ويعملانه على اداء الصلاة ويسمعانه قراءة القرآن يقرأه قارىء حسن

الصوت ثم يفسحانه في الهواء الطلق ويسمح له بالاستماع الى الاصوات الجميلة والنغمات الموسيقية الطيبة) . هذا في الوقت الذي كان المجانين في اوربا يحرمون من دخول المستشفيات ويقيدون بالسلاسل في بيوت المجنون . مسكنهم وضيع وطعامهم قليل واجسادهم عارية وكانوا يموتون من الاهمال والعري . ولا يتلقون من المعالجة الا الضرب بين آن وآخر .

كانت مشافي العقول تشغل جناحا في المستشفيات العامة احيانا حيث تتاح الفرصة لكبار الاطباء زيارة هؤلاء المرضى وتدبيرهم .

جاء في كتاب البلدان لليعقوبي (وفي مدينة السمانية دير هرقل الذي يعالج فيه المجانين) .

(د) ـ اليتامى ودور الرضع : خصصت هذه الدور للاطفال الذين فقدوا امهاتهم ولم يكن لديهم من يقوم بارضاعهم والسهر على تربيتهم واعاشتهم . اول من خصص مثل هذه الدور هو مظفر الدين كوكبري صاحب اربل سنة (٥٤٩ـ٦٣٠هـ) . وجعل فيها مراضع مقيمات في الدار وخدما يقومون على الخدمة .

(هـ) ـ دور العجزة : ذكر المقريزي ان المنصور في صدر الدولة العباسية بنى دورا للعجزة

والايتام واخرى لمعالجة الجنون . وكان الوليد بن عبد الملك اول من جمعهم في دور خاصة للعناية بامرهم وجعل لكل مقعد خادما يكون في خدمته .

اما **المشافي المحمولة** فهي التي تنقل من مكان الى مكان حسب الحاجة وهي على ثلاثة انواع :

(١) مشافي الاسعاف الاولي : وقد سبق ذكر اول مشفى من هذا النوع عندما اصاب السهم سعد بن معاذ يوم الخندق .

(٢) المشافي الحربية : كانت للجيوش الاسلامية مشافي حربية يشرف عليها جراح ملحق بها . وكلما ذهب الخليفة الى الحرب اخذ معه اطباءه للعناية به وبجيشه . وكان ابن المطران مقربا من صلاح الدين يرافقه في كل حروبه وله خيمة حمراء خاصة لها مدخل كبير تعرف به . عندما راى الملك العادل ان العمل اثقل كاهل طبيبه امر بتعيين طبيب اخر للعناية بالجند . وكان الجرحى يحولون الى النساء لتمريضهم . وكان للسلطان محمود السلجوقي بيمارستانا يحمل في معسكره على اربعين جملا ومن اطبائه ابو الحكم المغربي الاندلسي .

(٣) ـ المشافي النقالة : وهي التي تنتقل في البلاد الى امكنة مختلفة لا سيما في القرى حيث لا يوجد اطباء ، لمعالجة المرضى حسب الحاجة او لتدبير المصابين عند حلول الاوبئة .

كان سنان بن ثابت اول من اهتم بانشائها فلقد جاء في كتاب ثابت الوزير بن عيسى اليه فيه (فكرت فيمن في السواد من اهله وانه لايخلو من ان يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم متطبب لخلو السواد من الاطباء فتقدم مد الله في عمرك بانفاذ متطببين وخزانة من الادوية والاشربة يطوفون في السواد ويقيمون في جميع مدة ما تدعو الى مقامهم ويعالجون من فيه ثم ينتقلون الى غيره) . وجاء في كتاب آخر (واكتب الى اصحابك به ووصى بالتنقل في القرى والمواضع التي فيها الاوباء الكثيرة والامراض الفاشية وان لم يجدوا بدرقة توقفوا عن المسير حتى يصلح لهم الطريق ويسلح السبيل ان فعلوا هذا وفقوا ان شاء الله .)

لم تكن المشافي تسير اتفاقا بل كانت على نظام تام وترتيب محمود ، مقسمة الى قسمين منفصلين احدهما للذكور واخر للاناث ولكل قسم ما يحتاجه من آلة وعدة وخدم وفراشين وقوام ومشرفين وفي كل قسم عدة قاعات لمختلف الامراض فقاعة للباطنة واخرى للجراحة وثالثة للكحالة وقاعة للتجبير ، كانت قاعة الباطنة مقسمة الى اقسام قسم للمحمومين واخر للمبرودين (من بهم الجنون السبعي ـ مانيا) وثالث للمبرودين ورابع لمن بهم اسهال وهكذا . كانت قاعات المشفى فسيحة البناء ، والمشفى رئيس

يسمى الساعور ولكل قسم من اقسامه رئيس فهناك رئيس الباطنية ورئيس الجراحية ورئيس المجبرين ... وغيرهم . وفي المشافي خزانة للشراب وهي الصيدلية قال ابو العباس القلقشندي (فيها انواع الاشربة والمعاجين النفيسة والمربيات الفاخرة واصناف الادوية والعطريات الفائقة التي لا توجد الا فيها . وفيها من الآلات النفيسة والآنية الصيني من الزبادي والبراني والاياز ما لا يقدر عليه غير الملوك . لكل صيدلية رئيس يسمى الصيدلي وتحت يده غلمان عنده برسم الخدمة .

للمشفى ناظر يشرف على ادارته . وهذه الوظيفة معدودة من الوظائف الديوانية العظيمة . ذكر ابن اياس في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور (ان وظيفة الناظر كانت من اهم وظائف الدولة يتولاها احد نواب السلطان ويذهب الى مقره في حفلة حافلة) .

ذكر ابو العباس القلقشندي ان اعظم الوظائف الصناعية في الدولة الفاطمية بمصر وظائف الاطباء فكانت القاب ارباب الصناعة الرئيسية كرئاسة الطب من الدرجة الاولى . ومن الوظائف الصناعية المتممة وظيفة الطبيب الخاص بالخليفة ويجلس على الدكك التي في القاعة المعروفة بقاعة الذهب

بالقصر دونه اربعة اطباء فيخرج الخدم والحواشية فيستدعون منهم من يجدونه للدخول على المرضى بالقصر لجهات الاقارب والخواص .

كان للاطباء من لدن الخلفاء والامراء الاحسان الكبير والافضال الغزيرة والصلات المتواترة والجامكية الوافرة وتطلق لهم معها علوفة الدابة التي يركبونها . اما المراتب الشهرية فخمسون دينارا لاطباء المخليفة وعشرة لمن دونهم المقيمين في القصر . ولاطباء المشافي خمسة عشر دينارا وكان لبعضهم رزقان اي ثلاثون دينارا لعملين مختلفين . وكان لبعضهم كجبرائيل الكحال الف درهم في كل شهر . وقد بلغ بعض الاطباء من حسن الحال ورغد العيش درجة عظيمة فقد بلغ بختيشوع في زمان المتوكل من عظم المنزلة وحسن الحال وكثرة المال ومباراة الخليفة في اللباس والزي والطيب حدا يفوق الوصف .

للمشافي طريقان للعلاج : علاج خارجي اي يتناول المريض الدواء من المشفى ثم ينصرف ليتعاطاه في منزله ، وداخلي اي ان يقيم المريض في المشفى في القاعة الخاصة بمرضه حتى يشفى . وكان لكل قاعة طبيب او اثنان او ثلاثة بحسب اتساعها وكثرة المرضى وقد يدعى طبيب من قسم آخر للاستشارة اذا دعى الحال .

كان الاطباء يشتغلون بالنوبة فجبريل بن بختيشوع له نوبته في الاسبوع يومان وليلتان .

وكانت الدروس السريرية تعلم في المشافي اضافة للندوات التي تعقد خارج هذا الوقت . قال ابن ابي اصيبعة (كنت اجلس مع الشيخ رضي الدين الرحبي فاعاين كيفية استدلاله على الامراض وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم وابحث معه في كثير من الامراض ومداواتها . كان معه في البيمارستان الحكيم عمران وهو من اعيان الاطباء واكابرهم فكانت الفوائد المقتبسة من اجتماعهما تتضاعف مما كان يجري بينهما من الكلام في الامراض ومداواتها) . وذكر ابن ابي اصيبعة نقلا عن شيخه مهذب الدين عبد الرحيم انه (بعد فراغه من الطواف على المرضى ، ياتي فيجلس في الايوان الكبير الذي في البيمارستان وجميعه مفروش وكان في الخزانتين اللتان في صدر الايوان جملة كبيرة من الكتب الطبية فياتي الاطباء والمشتغلين اليه ويقعدون بين يديه ثم يجري مباحث طبية ويقرىء التلاميذ ولا يزال معهم مقدار ثلاث ساعات ثم يركب الى داره .

وكان للطبيب الحرية التامة في التجريب واستنباط الاساليب المناسبة للعلاج وكانت التجارب تدون في كتب خاصة يقرؤها الجمهور من الاطباء . فقد كان لابي البيان المدور كتاب في مجرياته في

الطب وللماهر يوسف الفسي كتاش فيما استخرجه وجربه ايام حياته ولا فرايم بن الزقان تعاليق ومجربات ولابن الامين مثله ولابن ابي الفضائل الناقد مجربات في الطب وكذلك لابي المعالم تمام بن هبة الله بن تمام. ولمحمد بن زكريا الرازي كتاب عنوانه (قصص وحكايات المرضى) .

وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاخر سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) افتتحت المدرسة الدخوارية لتعليم الطب في دمشق وترع الحكيم شرف الدين ابو الحسن علي بن يوسف بالتدريس فيها بصناعة الطب واستمر على ذلك عدة سنين ثم صار بعد ذلك الحكيم بدر الدين المظفر ابن قاضي بعلبك مدرسا فيها اضافة لرئاسته على سائر الحكماء .

من المشافي التي اشتهرت في الاسلام :

١ ـ **مشافي بغداد** : (١) مشفى الرشيد وهو اول مشفى انشىء ببغداد في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري (التاسع الميلادي) على يد الطبيب جبرائيل بن بختيشوع وصار مأسوية الخوزي رئيساله (٢) مشفى البرامكة وكان رئيسه طبيبا هنديا ولعل المشفى قد اندثر بعد نكبة البرامكة . (٣) مشفى بدر او المشفى الصاعدي

وكان بمحلة المحزم جنوب الرصافة ويذكر ثابت بن سنان ان النفقة على هذا المشفى من واردات وقف السيدة ام المتوكل . (٤) مشفى الحربية الذي انشاه الوزير ابو الحسن علي بن عيسى بن الجراح سنة ٣٠٢هـ (٩١٤م) بالحربية في الجانب الغربي من بغداد وانفق عليه من ماله وقلده ابا عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي . (٥) مشفى السيدة وكان بالجانب الشرقي في محلة سوق يحيى (محلة السفينة في الاعظمية اليوم) وهو مضاف الى ام المقتدر . انشيء سنة ٣٠٦هـ (٩١٨م) . يذكر ابن تغري بردي ان النفقة عليه كانت سبعة الاف دينار في السنة . (٦) المشفى المقتدري نسبة الى الخليفة المقتدر بالله امر بانشائه سنة ٣٠٦هـ بباب الشام في الجانب الغربي من بغداد اشتغل به من الاطباء يوسف الواسطي وجبرائيل بن عبد الله بن بختيشوع . (٧) مشفى ابن الفرات وزير المقتدر اتخذه في درب المفضل وقلد امره الى ابا الحسن ثابت بن سنان بن ثابت سنة ٣١٣هـ (٩٢٥م) . (٨) مشفى الامير بجكم انشيء سنة ٣٢٩هـ غير ان العمل فيه لم يتم في عهد الامير . جدد هذا المشفى في عهد عضد الدولة (٩) مشفى معز الدولة البويهي : انشاه سنة ٣٥٥هـ وعمل على ان يقف عليه وقفا وافرد لذلك مستغلا بالرصافة وكانته واردات هذه الضياع تبلغ

في كل سنة خمسة الاف دينار . (١٠) مشفى الوزير فخر الملك الصيرفي . (١١) مشفى باب المحول: وباب المحول محلة كبيرة في الكرخ . جاء ذكر هذا المشفى في حوادث ٣٢٩هـ وحوادث ٤٤٩هـ . (١٢) المشفى المنشي انشيء بسوق المنشى قريبا من المدرسة النظامية والمدرسة البهائية . (١٣) المشفى العضدي / اتم بناءه عضد الدولة البويهي على رابية تشرف على دجلة في طرف الجسر من الجانب الغربي من بغداد على مقربة من قصر الخلد الذي انشاه ابو جعفر المنصور .

ذكر ابن خلكان ان عضد الدولة غرم عليه مالا عظيما وليس في الدنيا مثل ترتيبه واعد له من الالات ما يقصر الشرح عن وصفه .

وقال ابن الجوزي في حوادث ٣٧٢هـ وفي يوم الخميس لثلاث خلون من صفر وقيل بل لليلة خلت من ربيع الاول افتتح البيمارستان الذي انشاه عضد الدولة في الجانب الغربي من مدينة السلام .

روى ابن ابي اصيبعة ان عضد الدولة رتب في البيمارستان الجديد اربعة وعشرين طبيبا اختارهم من بين مئة طبيب . ومن بين الاطباء الذين تداولوا ادارته ابو بكر الرازي وثابت بن قرة وساعد بن بشر بن عبدوس ونظيف النفس الرومي وابو

الحسين بن نفاح الجرائحي والمجبر ابو الصلت وجبرائيل بن بختيشوع وامين الدولة ابن التلميذ .

وقد اوقف عضد الدولة على مارستانه اوقاف وضياعا كثيرة وعمل بين يديه سوقا للبزازين وارجاء بالزبيدية من نهر عيسى ووقفها عليه . ظل البيمارستان العضدي قائما يؤدي الخدمات مدة ثلاثة قرون منذ تاسيسه حتى سقوط بغداد بيد هولاكو .

٢ ـ **مشافي الشام** : (١) مشفى الوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي : قال المقريزي ان اول من بنى البيمارستان في الاسلام هو الوليد بن عبد الملك . (٢) مشفى انطاكية : جاء في كنوز الذهب في تاريخ حلب ان المختار بن الحسن بن بطلان هو الذي بناه. (٣) المشفى الصغير بدمشق . (٤) المشفى الكبير النوري : بناه السلطان نور الدين محمود بن زنكي بعد ان تولى دمشق سنة ٥٤٩هـ (١١٥٤م) وقيل ان المال الذي انشىء منه المشفى كان من فدية احد ملوك الفرنج بعد اسره . قال بن جبير وكان قد دخل دمشق سنة ٥٨٠هـ (وللبيمارستان قومه ويأيديهم الازمة المحتوية على اسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون اليها في الادوية والاغذية وغير ذلك والاطباء يكرون اليه في كل يوم ويتفقدون المرضى ويأمرون باعداد ما يصلحهم) . قال خليل

ابن شاهين الظاهري : (عندما دخلت دمشق سنة ٨٣١هـ رايت بيمارستانا لم ير مثله في الدنيا قط وكان بصحبتي رجل من اهل الفضل واللطافة فلما دخل البيمارستان تمارض واقام فيه ثلاثة ايام ورئيس الطب يتردد عليه فلما حس نبضه وعلم حاله وصف له ما يناسبه من الاطعمة الحسنة والدجاج المسمنة والحلوى والاشربة والفواكه المتنوعة ثم بعد ثلاثة ايام كتب له ورقة ما معناها ان الضيف لا يقيم فوق ثلاثة ايام) . ظل هذا المشفى قائما الى سنة ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) . (٥) المشفى العتيق بحلب : بناه نور الدين محمود بن زنكي ايضا وكان ممن تراسوه ابن بطلان . (٦) بيمارستان القدس : بناه صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ والى جواره مدرسة . ادركه الخراب سنة ٨٦٢ هـ بعد زلزال شديد .

٣ ـ **مشافي الجزيرة العربية** : (١) مشفى مكة : عمره الشريف حسن عجلان صاحب مكة سنة ٦٢٨هـ وكان وقفا للمستنصر العباسي (٢) مشفى المدينة : قال ابن شاكر الكتبي تمم الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٣هـ عمارة حرم رسول الله وعمل منبره واحاط بالضريح درابزين وذهب سقفه وبيضه وجدد البيمارستان بالمدينة ونقل اليه سائر المعاجين والاكحال والاشربة .

٤ ـ مشافي مصر : (١) المشفى العتيق ويعرف بالاعلى ايضا انشاه احمد بن طولون في سنة ٢٥٩هـ (٨٧٢م) ولم يكن قبل ذلك في مصر مشفى . كان يشارفه بنفسه ويركب اليه يوما في كل اسبوع . وعمل له حمامين احدهما للرجال والآخر للنساء . وشرط انه اذا جيء بعليل تنزع عنه ثيابه وتفتش وتحفظ ويفرش له ويغذى ويراح بالادوية والاغذية حتى يبرأ فاذا اكل فروجا ورغيفا امر بالانصراف واعطي ماله وثيابه (٢) المشفى الاسفل او بيمارستان كافور الاخشيدي بني سنة ٣٤٦هـ . (٣) مشفى صلاح الدين : لما ملك السلطان صلاح الدين يوسف ابن يوسف بن ايوب الديار المصرية سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م) واستولى على قصر الفاطميين كان فيه قاعة جعلها مشفى . يقال ان في القاعة طلسما لا يدخلها نمل وان ذلك هو السبب لجعلها مشفى وقد استخدم له اطباء وكحالين وجراحين وشارفا وعاملا وخداما ووجد الناس به رفقا وبه نفعا . اشتغل في هذا المشفى ابراهيم بن ميمون وموفق الدين ابو العباس (ابن ابي اصيبعة) . (٤) دار النساء او البيمارستان الكبير المنصوري كان قصرا تسكنه الست الجليلة عصمة الدين ابنة الملك العادل وهو في الاصل لست الملك اخذه الملك سيف الدين قلاوون الالفي منها وعوضها عنه بقصر الزمرد . وجعله

مشفى . استغرق تحويل القصر الى مشفى احد عشر شهرا وايام . بدأ في البناء في اول ربيع الاول ٦٨٣هـ (١٢٨٤م) فابقى القاعة على حالها وهي ذات ايوانات اربعة بكل ايوان شاذروان وبدون قاعتها فسقية يصير اليها الماء من الشاذروان . كان ذرع هذه الدار عشرة الاف وستمائة ذراع . ولما كملت جلس السلطان فيه واستدعى قدحا من الشراب فشربه وقال : قد وقفت هذا على مثلي فمن دوني . واوقفه على الملك والمملوك والكبير والصغير والحر والعبد والذكر والانثى وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة . ومن مات جهز وكفن ودفن . ورتب فيه الحكماء الطبائعية والكحالين والجرائحية والمجبرين ورتب به الفراشين والفراشات والقومة لخدمة المرضى واصلاح اماكنهم وتنظيفها وغسل ثيابهم وخدمتهم في الحمام وعملت التخوت والفرش والطراريح والاقطاع والمخدات والملحف والملاءات لكل مريض فراش كامل وافرد لكل طائفة من المرضى امكنة تختص بهم فجعلت الاواوين الاربعة المتقابلة للحميات وغيرها وجعلت قاعة للرمد وقاعة للجرحى وقاعة لمن افرط به الاسهال وقاعة للنساء وامكان حسن للممرورين (مرضى العقل) من الرجال ومثله للنساء . والمياه تجري في اكثر هذه الاماكن وافردت اماكن لطبخ الطعام والاشربة والمعاجين

وتركيب الاكحال والتيافات والسفوفات وعمل المراهم والادهان وتركيب الدرياقات وغيرها من هذه الاصناف ومكان يفرق منه الشراب وغير ذلك مما يحتاج اليه . ورتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الاطباء لالقاء دروس الطب ينتفع به الطلبة . وجعل المشفى سبيلا لكل من يصل اليه في سائر الاوقات من غني وفقير ولم يقتصر فيه على من يقيم من المرضى بل رتب لمن يطلب وهو في منزلة ما يحتاج اليه من الاشربة والاغذية والادوية حتى ان هؤلاء زادوا في وقته من الاوقات على مائتين غير من هو مقيم بالمشفى . كان يصرف من الشراب المطبوخ ما يزيد على خمسة قناطير يوميا غير السكر والمطابيخ من الادوية . ورتب من المباشرين والامناء من يقوم بوظائفه وابتياع ما يحتاج اليه من الاصناف وضبط ما يدخل الى المكان وما يخرج منه وهؤلاء هم مباشرو الادارة . اما مباشرو الصندوق فاليهم يرجع استخراج الاموال ومحاسبات المستاجرين وصرف الاموال بمقتضى حوالة مباشري الادارة والعمارة وعمل الاستحقاق . ينفرد مباشرو العمارة بابتياع الاصناف واستعمال الصباغ ومرمة الاوقاف وغير ذلك مما يدخل في وظيفتهم وينقل عليهم من الصندوق من المال ما يصرفونه لارباب الاجر . ترفع كل طائفة من هؤلاء المباشرين حساباتهم مياومة ومشاهرة ومسانهة الى الناظر والمستوفي .

قال خالد البلوي اخبرني الشيخ العالم شمس الدين الكركي كان يكحل فيه كل يوم من المرضى الداخلين اليه والنافهين الخارجين اربعة الاف نفس وتارات يزيدون وينقصون ولا يخرج منه كل من برأ من مرض حتى يعطى احسانا اليه وانعاما : كسوة لليابسه ودراهم لنفقاته .

قال بريس دي افن كانت قاعات المرضى تدفأ باحراق البخور او تبرد بالمراوح الكبيرة الممتدة من طرف القاعة الى الطرف الثاني وكانت ارض القاعات تغطى باغصان شجر الحناء او شجر الرمان او المسطكي او بسالميج الشجيرات العطرية . وكان يصرف من الوقف على بعض اجواق تاتي كل يوم الى المارستان لتسلية المرضى بالغناء او بالعزف على الالات الموسيقية . ولتخفيف الم الانتظار وطول الوقت على المرضى كان المؤذنون في المسجد يؤذنون في السحر وفي الفجر ساعتين قبل الميعاد حتى يخف قلق المرضى الذين اضجرهم السهر وطول الوقت .

اصبح المشفى في اواخر القرن التاسع عشر خاصا بامراض العيون . وقد لعبت يد الزمان به فلم يبق منه الا النزر اليسير .

٥ ـ **مشافي المغرب** : (١) مشفى تونس : انشىء في زمن الخليفة عبد العزيز بن احمد بن محمد بن ابي بكر احد ملوك الدولة الحفصية واقام

به خزانة فيها من الكتب الكثير . (٣) مستشفى مراكش : بناه يعقوب بن يوسف الكومي احد ملوك الموحدين بالمغرب قال عنه عبد الواحد المراكشي ما اظن أن في الدنيا مثله وذلك لاتقان بنائه وسعته ولما غرس فيه من جميع الاشجار والمشمومات ولكثرة المياه الجارية فيه وافرشته النفيسة واطعمته واديمه الوافرة .

٦ ـ **مشافي الاندلس** : (١) مشفى قرطبة: بناه الخليفة محمد بن يوسف بن نصر سنة ٧٥٥هـ. ذكر انه فخم متعدد المساكن رحب الساحة صحيح الهواء درور للمياه حسن الترتيب مغلق الخيرات .

المصـــــادر :

١ ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة .
٢ ـ تاريخ البيمارستانات في الاسلام للدكتور احمد عيسى بك
٣ ـ معجم الاطباء من ٦٥٠ الى يومنا هذا للدكتور احمد عيسى بك
٤ ـ الاسلام والطب للدكتور احمد شوكة الشطي
٥ ـ مقدمة في تاريخ الطب العربي التجاني الماجي
٦ ـ اصالة الحضارة العربية للدكتور ناجي معروف
٧ ـ مستشفيات بغداد في العصر العباسي للدكتور ناجي معروف
٨ ـ تاريخ الطب العراقي عبدالحميد العلوجي
٩ ـ فضل المسرب في تاسيس المستشفيات وتطويرها للدكتور صبحي محمد نوري
١٠ ـ العلم عند المسرب واثره في الدو ميلي التطور العالمي
١١ ـ طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل
١٢ ـ الموجز لما اضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به قاسم محمد
١٣ ـ من اعلام الطب العربي ابو الفتح التونسي
١٤ ـ الطب العربي ـ الدكتور امين اسعد خير الله
١٥ ـ الطب والمجتمع الدكتور شريف شحاته
١٦ ـ التعريف لمن عجز عن التاليف ابو القاسم الزهراوي

١٧ــ من الطب الاشوري — الدكتور عبداللطيف البسدري
١٨ــ شمس العرب — سيغريد هو نكه
١٩ ــ دراسات في تاريخ العلوم عند حكمت نجيب عبدالرحمن العرب

المحتويات

١ ــ الفصل الاول
طب وادي الرافدين ٣
٢ ــ الفصل الثاني
الطب في الجزيرة العربية ٢٥
٣ ــ الفصل الثالث
الطب في العصر النبوي ٣٥
٤ ــ الفصل الرابع
الطب في العصر الاموي ٤٢
٥ ــ الفصل الخامس
الطب في العصر العباسي ٤٩
٦ ــ الفصل السادس
الطب في الاندلس ٧٩
٧ ــ الفصل السابع
عصر النقل من العربية الى اللغات الاجنبية ٩٠
٨ ــ الفصل الثامن
ماذا قدم العرب للطب ٩٨
٩ ــ المصادر ١٤٧
١٤٩

صدر من الموسوعة الصغيرة

١ ـ العرب والحضارة الاوربية
د . فيصل السامر

٢ ـ فلسفة الفيزياء
د . محمد عبد اللطيف مطلب

٣ ـ الحقيقة الاشتراكية لحزب البعث العربي الاشتراكي . الفكر والتطبيق
عزيز السيد جاسم

٤ ـ قضايا المسرح المعاصر
سامي خشبة

٥ ـ الصناعات البتروكيماوية ومستقبل النفط العربي
د . محمد ازهر السماك

٦ ـ الثورة والديموقراطية
صباح سلمان

٧ ـ دانتي ومصادر العربية والاسلامية
عبد المطلب صالح

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
٥ لسنة ١٩٧٨